سيكلوجية التطرف الديني العنيف (دراسة حالة)

عقيل حبيب عبيد
باحث دكتوراه ـ قسم علم النفس
كلية البنات للاداب والعلوم والتربية ، عين شمس ، مصر
Akeelhebeb1975@gmail.com

أ.د/ شادية أحمد عبدالخالق
أستاذ علم النفس ـ قسم علم النفس
كلية البنات ، جامعة عين شمس ، مصر

المستخلص:

هدفت الدراسة الى التعرف على الخصائص النفسية والسلوكية للتطرف الديني لدى شاب مودع في سجن وزارة الداخلية العراقية وفقا لمادة (4) من قانون مكافحة الارهاب،-كما هدفت الدراسة الى معرفة ديناميات الشخصية ومعرفة الاسباب والدوافع التي تشكل البيئة النفسية للمتطرف دينيا. وقد استخدم الباحث دراسة الحالة والمقابلة وتاريخ الحالة واختبار تفهم الموضوع (TAT). وتوصلت الدراسة الى ان من اسباب التطرف الديني بالنسبة للحالة: الأسباب الشخصية والأسرية والايديولوجية. كما توصلت الدراسة الى معاناة الحالة من انخفاض الشعور بالأمان، يقابله ازدياد الشعور بالخوف والقلق. كما كشفت بطاقات اختبار تفهم الموضوع عن ديناميات الشخصية لدى الحالة واعتمادها على عدد من الوسائل الدفاعية، وضعف الأنا امام قوة الأنا العليا، ان كل تلك الاسباب دفعت بالحالة الى الانتماء الى الجماعات المتطرفة.

الكلمات الدالة: التطرف الديني ، اختبار تفهم الموضوع

تاريخ ارسال البحث: 2021/3/22 تاريخ قبول البحث: 2021/7/13

المقدمة

بعد احداث 11 سبتمبر 2001 اخذ التطرف الديني شكلا نوعيا آخر ما كان معه لدراسات التطرف السابقة ان تستمر دون ان تعلن نموذجا Paradigm معرفيا جديدا، فما عاد الهيكل النظري والمفاهيمي السابق يصلح لهذه التغيرات النوعية. اما في وطننا العربي فالتطرف الذي نظمته واشرفت عليه وقادته جماعات ليكون حركة عامة لا يكاد مجالا من مجالات الحياة العربية يخلو من تأثير من تأثيراته، فبدءا من المناطق الأكثر توترا كالعراق وسوريا حيث بلغ التطرف الديني اشده حتى باقي البلدان والمناطق العربية بالتدريج. لقد بلغ انفلات غرائز العدوان ومشاعر الغضب والتحريض وعدوى العنف والإيحاء في مثل هذه البلدان مستوى يمكن وصفه بأنه "هستيريا جماعية". وكما وصف فرويد (2006، 26) هذه الهستيريا بانها تذوب فيها فردية الفرد في بوتقة جماعية من الانفعالات النفسية الشديدة الانصهار.

واختلف علماء النفس والباحثين في ترجيح الاسباب المؤدية الى التطرف، ولقد لخص بينجتون Pennington ثلاث اتجاهات نفسية اجتماعية لتفسير صراع التطرف والتعصب، وهي كالتالي:

1- الاتجاه الفردي

يقوم هذا المنحى على السمات الشخصية للمتطرف، حيث تتسم شخصيته بالانغلاق والجمود الذهني والتوتر والعدوانية والهامشية. ومن أهم نظريات هذا الاتجاه نظرية الشخصية التسلطية Personnalite autoritaire، ونظرية الإحباط- العدوان Frustration-aggression .

2- الاتجاه البين شخصي (العلاقات الشخصية المتبادلة)

يركز اصحاب هذا المنحى على المعتقدات الجامدة والنسق القيمي الذي اكتسبه الفرد بواسطة أساليب التنشئة الاجتماعية ومنها: التصلب في المعتقدات والافكار، وما تؤمن به الجماعة التي ينتمي اليها من معتقدات مشتركة، وهوية مشتركة، وتعميمات جامدة، وصور نمطية، مسايرة القيم السائدة.

3- الاتجاه البين جماعي (العلاقات الاجتماعية المتبادلة)

يركز اصحاب هذا الاتجاه على أثر جماعة الانتماء على ترسيخ الاتجاهات المتطرفة لدى الفرد خاصة من خلال عاملين مهمين، هما: التنافس بين افراد الجماعة، والطبقة أو الفئة الاجتماعية (Pennington , 1986,54- 55).

كما ان أحد اسباب العنف التي يقوم بها المتطرفون دينيا يرتبط بالميول التدميرية (نزوة الموت، الثنتوس) حيث يتم ازاحة العدوانية خارج الذات و إسقاط Projection الكره على الآخر الديني والطائفي. وبهذا يتحقق للفرد المتطرف هدفين: تصريف العدوان في الآخرين، وإثبات براءة الذات وصلاحها. ويرى مصطفى حجازي (1980، 198) ان هناك ارتباطا بين الميول التدميرية والميول المتطرفة، وإحباط الذات.

الدين Religion من أكثر المتغيرات تأثيرا في سلوك البشر بصورة عامة، وفي شخصياتهم وصحتهم النفسية بصورة خاصة، خاصة في بلدان كبلداننا العربية، ولكن تم استغلال هذا الجانب من الدين من قبل بعض الجماعات المتطرفة للوصول الى السلطة. اعتقد غالانت ان هناك جانبين مهمين يشتركان بين الدين والمعنى في الحياة، الاول ان الاثنين يركزان على التساؤلات الوجودية وهي مهمة بالنسبة لهما، والثاني انهما يمثلان جانبا مهما من جوانب الصحة النفسية (Gallant, 2001 P.25). كما قسم البورت التوجه الديني الى شكلين هما: التوجه الديني الجوهري Intrinsic Religious

Orientation ويشير به "الى الحياة المتوجهة كليا او المتكاملة بفعل قيمة الدين الرئيسية"، والتوجه الديني الظاهري أو الهامشي Extrinsic Religious Orientation ويشير به "إلى الاستغلال النفعي للدين لتوفير الراحة أو المكانة أو المساندة المطلوبة لمواجهة الفرد مع الحياة" (Dittes, 1971 P.86 .(Gallant, 2001 P.3)

مشكلة الدراسة

أن الأسرة والمؤسسات الاجتماعية والحركات الدينية الموجودة في مجتمع ما، هي أهم الأسباب التي تتكون منها شخصية الفرد وبها تتأثر افكاره ومعتقداته واتجاهاته. على الدور الرئيسي الذي يمكن ان تلعبه الأسرة في مواجهة التطرف العنيف والوقاية منه.

تنوعت اتجاهات الدراسات التي تناولت التطرف الديني، كما تعددت الاسباب التي اشارت اليها الدراسات كأسباب تقف وراء ظاهرة التطرف الديني، إلا أن الدراسة توقفت عند اتجاه التحليل النفسي الذي ركز على الديناميات النفسية وآليات الدفاع كأقرب المناهج لبحث التطرف الديني. ويتخذ التحليل النفسي جملة من الوسائل للبحث منها: دراسة الحالة، المقابلة، تطبيق الاختبارات.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة الى التعرف على سيكولوجية المتطرف الديني (العنيف) وذلك لكي نحدد خصائصه النفسية وديناميات الشخصية. كذلك التعرف على العوامل والاسباب والخبرات التي تشكل البيئة النفسية للمتطرف دينيا.

أهمية الدراسة

مشكلة التطرف الديني من المشاكل التي فتكت بأمن بلداننا العربية والاسلامية، واعاقت نموها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وتكمن أهمية الدراسة ايضا في محاولة التعرف على اسباب وديناميات شخصية الفرد وانخراطه في الجماعات المتطرفة وتكليفه بالقيام باعمال ارهابية، وتهدف ايضا الى تحديد استجابة المتطرف الديني للوحة الاكلينيكية من أجل الكشف عن الخصائص النفسية لفئة المتطرفين الدينيين.

تقدم الدراسة حالة احد المتطرفين دينيا لتتفحصها عن قرب وتقديم بعض المعلومات عن افراد هذه الجماعات لعلها تسهم في ان تفيد المهتمين بموضوع التطرف الديني من باحثين اكاديميين أو في المراكز البحثية، وتصميم برامج لمكافحة التطرف الديني.

كما وتهدف الدراسة التعرف على البعد السيكولوجي للايديولوجيا في علاقتها بالذات. يشير فيصل عباس (2017، 23) الى ان التحليل النفسي اسهم في التعرف على الآليات النفسية اللاواعية في استثمار المعتقد الديني الايديولوجي، وإن تحليل "كايس" Kaes للوظائف النفسية للايديولوجية تتبدى في تشكيل بنية نفسية للفرد بتقديم رموز واسماء واحداث تحقق لها التماهي والإحساس بالهوية والتعلق بالمثل، وتسهم بدمجها في الجماعة وتزويدها بما يمكن الدفاع عن نفسها ضد الخطر الخارجي والقلق الداخلي.

مصطلحات الدراسة

يعد مفهوم التطرف Extremity من المفاهيم التي يصعب تحديدها، لأنه يعاني من الافراط الدلالي وتداخل معانيه مع معاني ومفاهيم سيكولوجية كثيرة، ومنها: التعصب والدوجماتية و الانغلاق والارهاب.

لغة يعرف التطرف هو من أتى الطرف، والطرف في اللغة هو ما يقرب من نهايته، وقيل ما زاد عن النصف. وطرف كل شيء منتهاه. وجاء في لسان العرب لابن منظور قوله: تطرف الشيء صار طرفا، وتطرفت الشمس أي دنت من الغروب (ابن منظور، 1984، 32). التطرف في اللغة الانكليزية Extremism أو Fundamentalism ويعني التشدد والتوجه الصلب. كذلك يرد التطرف بالانكليزية بمعنى التوجه المتصلب الهادف الى احداث التغيير الجذري ويسمى عادة الأصولية.

أما اصطلاحا فقد استخدم الباحثون النفسيون مفهوم التطرف في معناه الذي يعرف بأنه تجاوز حد الاعتدال، وهي النهاية القصوى في أي خط متصل. وهذا الفهم للتطرف يجعله اعادة تكرار أو مرادف لمفاهيم اخرى وهي: تطرف الاستجابة، ومفهوم الاتجاه نحو التطرف. (عبد الله، 1989، 45). ويمكن اضافة مفردة (العنيف) للتطرف الديني ليتميز بذلك عن التطرف الديني بشكل عام وبين نوع من التطرف الديني يقترن بممارسة العنف والارهاب والاعتداء على الآخرين مواطنين وحكومات، سواء عن طريق تكفيرهم أو الانتماء الى جماعات مسلحة.

وقد عرف الباحثون التطرف، منها تعريف هشام عبد الله (2019: 98) هو مجموعة معقدة من الآراء والمعتقدات والافكار والمشاعر التي تبتعد عن حد الوسطية والاعتدال، وقد تظل كامنة أو تتطور الى مواقف وافعال واستراتيجيات تصل الى حد العنف والعدوان.

وعرفه عبد الحميد زيد (2020: 17) هو محاولة لفرض رأي أو فكر أو واقع معين، عن طريق استخدام أساليب تتسم بالعنف والقوة، مع درجة من التخطيط والتنظيم والتنفيذ. والتطرف يوصف بانه ابتعاد عن الاعتدال، حيث ينظر للمتطرفين على أنهم القوى السياسية الفاعلة التي تتجه لتجاهل حكم القانون ورفض التعددية في المجتمع.

اجرائيا يعرف الباحث التطرف الديني العنيف بانه الإيمان ببعض المعتقدات الدينية والقيام بفعل لصالح جماعة أو قضية أو ايديولوجية يقود صاحبه نحو مواقف مدانة قانونا.

التطرف الديني في التحليل النفسي

بين فرويد ان العصاب جزء من الحضارة الانسانية، وان الانظمة الدينية المغلقة تولد كثيرا من الأمراض النفسية خاصة ذات النمط الوسواسي، وشدد فرويد على ان العصاب يبدأ من الطفولة، وان المتعصب والمتطرف تتغلب عنده غريزة الموت (ثاناتوس) على غريزة الحياة (ايروس)، وذهب فرويد الى ان هاتين النزوتين ترتكزان منذ الطفولة الأولى في العلاقة مع الوالدين. هذه العلاقة هي التي تكون التصورات الأولى (الصور الوالدية الأولى) بجانبها المحبوب وبما تستقطب من كره، هي النموذج الأولي لكل علاقة لاحقة، سواء كانت سلبية أو ايجابية.

ويشير محمد احمد بيومي (1992، 102) الى ان انتماء الشباب الى الجماعات المتطرفة هو بديل لما يعانيه هؤلاء الشباب من حرمان نفسي، فتصبح علاقة العضو بأمير الجماعة ليس فقط علاقة قيادة، بل بديلا عن علاقة الأب بالأبن. وتبعا لنظرية التحليل النفسي يمكن عد التطرف عصاب جمعي حيث ينتسب المتطرف الى جماعة تعتقد بأوهام الاضطهاد والعظمة. وتحت تأثير بعض الميكانزمات مثل الاسقاط Projection, والتبرير Justification , والتماهي Identification، تتفاقم مثل هذه الأوهام، فيسقط الدفعات غير المرغوب فيها على الآخرين, ويجعل منهم كبش الفداء يحمل شروره وآلامه. ويمكن القول

هنا ان التطرف والعنف المصاحب له يمثل وظيفة نفسية لأفراد الجماعة التي تعرضت للإحباط، فيساعدهم هذا العنف بالعثور على اهداف بديلة مناسبة.

كما أن فرويد يرجع سلوك العنف الى الانا الضعيف الذي يعجز عن تكييف النزعات الفطرية الغريزية مع مطالب المجتمع وقيمه ومعاييره ويكون ضعيفا لدرجة انه لا يستطيع ان يوائم بين دوافعه ومطالب الهو، والصراع الذي ينجم عن ذلك يقود الى ما يعرف بالصراع الأوديبي الذي يتسم بازدواجية المشاعر، فالخوف من الفشل والالم الذي يحدث خلال الصراع مع السلطة سواء كانت تلك السلطة (الاب، رئيس العمل، المدرس، ...الخ). ويعتقد أدورنو Adorno أن العداء تجاه الآخرين بصفته نتيجة للأهواء اللاواعية المزاحة deplace. أما المنابع الانفعالية فهي حصيلة التماهي Identification الملموس مع صورة الأب أو نائبه (ليبيين، 1997، 216).

وقد اكدت الدراسات النفسية على ان نزعات كالتطرف والتصلب والتعصب لها جذور تكوينية في المراحل النمائية السابقة. وبحسب تقسيم فرويد للغرائز (غريزة الحياة وغريزة الموت) فيمكن عد التطرف الديني- والذي يكون عادة مصحوبا بعدوان من ضمن غريزة الموت في الإنسان. ويطبق دايفد باتريك هوتون (2015، 287- 288) بعض مفاهيم النظرية الفرويدية في حقل (علم النفس السياسي) ليشير إلى فكرة (الفصل) والتي تقول إننا نميل مبكراً إلى أن نفصل العالم إلى ما هو (حسن)، وما هو (سيئ)، ثم نقوم بإسقاط الجوانب التي لا نحبها فينا على الآخرين، أي نسقط الجانب غير المرغوب فينا (كجماعة دينية) على الجماعات الاخرى، لأن هؤلاء يخدمون غرضا مهما بالنسبة لنا وإن كان غرضاً لا شعوريا. هكذا يرى الفرد الآخرين عبر وساوسه اللاواعية وكوابيس الذاكرة الجمعية وعبر هوامات الرغبة، والمشتقات الغريزية للرغبة. لذا يقيم علاقته بغيره أو بذاته بحسب ما يحب ويعجب أو يكره وينفر (حرب، 2002، 66). ويذهب اريك فروم ابعد من فرويد الى حيث الجانب الاجتماعي هو العامل الأهم في جميع العمليات النفسية، وعلى ضوء المنظور الاجتماعي هذا يمكن تفسير التطرف. ومن خلال تحليله للجانب النفسي لعدد من المجتمعات التاريخية، يخرج فروم بنتيجة وهي وجود سمة ثابتة "خصائص نفسية" يمكن أن تجمع افراد المجتمع تحت جناحها، يطلق فروم على هذا العنصر المشترك "الشخصية الاجتماعية" Personnali te sociale وهي النواة الجوهرية لمكون الشخصية في معظم أعضاء الجماعة التي تطورت نتيجة التجارب الرئيسة ونمط الحياة المشترك، فوظيفة الشخصية الاجتماعية في الفرد هو أن تصوغ وتوجه الطاقة الانسانية داخل المجتمع بحيث تستهدف استمرار وظيفة المجتمع. هذه النواة النفسية للفرد هي التي تشكل سلوكه، وانفعالاته، وانماط تفكيره، وإدراكه الكلي للعالم وعلاقته معه، أي رؤيته لهذا العالم (فروم، 1972، 222).

وقد ساهمت كارين هورني في توجيه التحليل النفسي وجهة ثقافية اجتماعية، معتبرة ان العلاقات البين شخصية والاجتماعية والثقافية والحضارية هي النقطة المركزية في بناء الشخصية وبالتالي سلوكها، سواء كان متطرف او غير متطرف.

ونادت هورني باتجاه اجتماعي في التحليل النفسي، نظرا لاقتناعها بأن الثقافة ينبغي أن تحتل مكانة مركزية في نظرية تطور الفرد وبأن الثقافة هي العامل الحاسم والأكثر أهمية في تكوين شخصية الفرد النفسية (عباس، 2005، 229).

ويمكن النظر الى موضوع التطرف الديني من منظار هورني وجهازها المفاهيمي حيث ترى ان التطرف ناتج من صراعات وتصورات الفرد المثالية، والذي يؤدي الى تحول التناقضات التي يوجد الفرد ضمنها (الفرد والعالم الخارجي) الى تناقضات بين الفرد وتصوراته، أي بين الذات والأنا العليا التي تتشكل في مسار تطور الشخصية العصابي. لذا فاذا ما اراد المجتمع التخلص من مشكلة التطرف

والارهاب عليه ان يساعد الافراد في تقليل الهوة بين ذواتهم وبين مثلهم العليا، ليكتسب الثقة بنفسه وبقواه البناءة.

دراسات سابقة

دراسة رزق سند (1983) هدفت إلى التعرف على ديناميات التطرف في المحافظة والتحرر لدى الشباب الجامعي مطبقا اختبار تفهم الموضوع (TAT) على عينة تتكون من (200) طالبا، وقد أظهرت النتائج أن الأفراد ذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع يكونوا اكثر ميلا نحو التحرر من القديم مقارنة بالطلاب ذوي المستويات الاقتصادية والاجتماعية الأقل حيث يميلون إلى التمسك بالأفكار التقليدية.

أما دراسة محمد محمود أبو دوابة (2012) فقد وجدت أن هناك ارتباط موجب دال إحصائيا بين الاتجاه نحو التطرف الديني والحاجات الاقتصادية، وارتباط سالب دال بين الاتجاه نحو التطرف الاجتماعي والحاجة إلى تحقيق المكانة الاجتماعية، كذلك توجد فروق دالة إحصائيا في الاتجاه نحو التطرف تعزى لمتغير الجنس (في اتجاه الذكور)، ومثلها تعزى لمتغير المستوى الدراسي.

دراسة عبد الإله البنا (2014) هدفت الى الكشف عن العلاقات الارتباطية والسببية وطبيعتها بين كل من متغيري التطرف الديني والسياسي (كمتغيرين تابعين) كل على حده لدى عينة من طلبة الجامعة اليمنيين (طلاب وطالبات) مع بعض المتغيرات النفسية قيد الدراسة (بعض اساليب المعاملة الوالدية الخاطئة: التسلط- التمييز- الرفض لكل من الأب والأم كل على حده كما يدركها الأبناء- أحادية العقلية- سمة التعصب- الاغتراب النفسي) كمتغيرات مستقلة. أما عن نتائج العلاقات الارتباطية فكانت النتيجة وجود علاقة موجبة وجوهرية بين التطرف الديني مع كل من المتغيرات (سمة التعصب- الاغتراب النفسي- اسلوب التسلط في معاملة الأم والأب) على التوالي لدى عينة الاناث.

وفي دراسة أحمد خالد الحديدي (2015) قام بتطبيق ثلاثة اختبارات (مقياس الاتجاه نحو التطرف، واختبار القيم، ومقياس الضغوط النفسية) على عينة تكونت من (436) مبحوثا من طلاب كلية الآداب/ جامعة المنصورة، وكانت نتائج الدراسة إن القيم الدينية تصدرت نظام القيم لدى عينة المتطرفين وتلتها القيم السياسية ثم القيم الاقتصادية، ثم القيم الاجتماعية، ثم القيم النظرية، وأخيرا القيم الجمالية في المرتبة السادسة.

دراسة دافيدوف (2015) طبقت الدراسة على عينة مقصودة مؤلفة من عينة من المراهقين عددهم (50) ضمن برامج للمتخصصين في مجال مكافحة العنف والوقاية من التطرف في العاصمة الروسية موسكو طبق عليهم استبيان، فكانت النتائج تشير الى أن (6،58%) بحاجة الى تدخل من نوع التوصيات المحدودة لمنع انجرافهم في التطرف، كذلك ابرزت الدراسة الحاجة الى عمل برامج واجراءات الوقاية. وأن (6،45) هم بحاجة الى التعرف على طبيعة التطرف وشرح لهم مخاطره واسبابه ومظاهره. وأظهرت الدراسة ان من أهم اسباب التي تؤثر في الشباب وتقوي من اتجاههم نحو التطرف هو مشاهدتهم المواد الفيديوية ذات المحتوى المتطرف عبر وسائل الاعلام أو مواقع التواصل الاجتماعي.

دراسة سيمي (Simi, 2015) هدفت الى التعرف على العلاقة بين صدمات الطفولة والمشاكل السلوكية للمراهقين بعملية بالتوجه نحو التطرف العنيف. وتكونت العينة من (44) فردا كانوا ضمن جماعات عنفية في الولايات المتحدة، وتوصلت الدراسة الى أن الصدمات النفسية التي حدثت في الطفولة من المحتمل أن تكون سببا في بدايات توجه الافراد نحو السلوك التطرفي العنيف، كذلك اظهرت الدراسة ان بعض

الحالات تعاني مشاكل نفسية وكانت تتصرف بطريقة لا تدل على التكيف والانسجام كتشويه الذات والانتحار.

دراسة فاطمة السيد وعبير حسين خياط 2018 بعنوان (التطرف الفكري وعلاقته بأحادية الرؤية والأفكار الآلية السلبية لدى عينة من طلاب الجامعة في ضوء الفروق في النوع والتخصص العلمي) تناولت الدراسة التطرف الفكري بمعنى التطرف الديني أو العقائدي Ideological extremism . تكونت العينة من (540) من طلاب جامعة الملك عبد العزيز بكليتي الآداب والطب، تراوحت اعمارهم ما بين (20- 28). طبقت عليهم مقياس التطرف الفكري لعلاء الرواشدة، ومقياس احادية الرؤية لرشدي فام منصور وقدري حفني، ومقياس الأفكار السلبية لجيهان حمزة وهيفاء الساكت. وكشفت الدراسة عن انتشار التطرف الفكري بين طلاب الجامعة، وارتفاع احادية الرؤية والأفكار الآلية. وكشفت ايضا عن وجود ارتباط موجب دال إحصائيًا بين التطرف الفكري واحادية الرؤية، وبين التطرف الفكري والأفكار الآلية السلبية.

دراسة هشام عبد الله (2019) هدفت الى التنبؤ بالاتجاه نحو التطرف من خلال تأثير عاملي النوع والجنسية (سعودي- غير سعودي) والتفاعل بينهما. اجريت الدراسة على عينة من المراهقين قوامها (557) فردا (318) ذكور، واناث (239). طبق عليهم مقياس الاتجاه نحو التطرف، وأظهرت النتائج أن متغيري دخل الأسرة ومستوى تعليم الأب ينبئان بأبعاد الاتجاه نحو التطرف والدرجة الكلية له، كما وجدت الدراسة فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في جميع أبعاد الاتجاه نحو التطرف وفي الدرجة الكلية له في اتجاه الذكور، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين السعوديين وغير السعوديين في جميع أبعاد الاتجاه نحو التطرف والدرجة الكلية له، وكانت كلها في اتجاه غير السعوديين.

دراسة صافي عمال صالح (2019) هدفت إلى التعرف على العلاقة بين القابلية للاستهواء والتطرف المفضي الى العنف من خلال تطبيق مقياس لقياس القابلية للاستهواء (اعداد عبيد، 2016) ومقياس لقياس التطرف العنيف لستانكوف (Lazar Stankove, 2010)، طبق المقياسان على عينة تكونت من (150) فردا تراوحت اعمارهم ما بين (15- 45) من سكنة مركز مدينة الرمادي العراقية، وضمت العينة طلابا من المرحلة الاعدادية وطلاب من الجامعة وموظفين واصحاب مهن حرة بمستويات دراسية مختلفة. وقد أظهرت النتائج أن درجة القابلية للاستهواء والتطرف العنيف منخفضان لدى افراد العينة. وان هناك ارتباط موجب بين القابلية للاستهواء والتطرف العنيف، فكلما ارتفعت درجة الاستهواء ارتفع التطرف المفضي الى العنف.

ونخلص من نتائج الدراسات السابقة الى ما يلي:

1: اثبتت اغلب الدراسات ان التطرف الديني ظاهرة منتشرة في العديد من البلدان العربية (دراسة الحديدي).

2: وجود ارتباط بين الاتجاه نحو التطرف وبعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية (دراسة رزق سند، ودراسة محمد ابو دوابة، ودراسة هشام عبد الله).

3: وجود ارتباط بين التطرف وبعض العوامل النفسية (دراسة البنا، ودراسة دافيدوف، ودراسة سيمي، ودراسة صالح).

4: وجود فروق في الاتجاه نحو التطرف والتطرف الديني وفقا للنوع (ذكور- اناث) في اتجاه الذكور.

5: لم تتناول جميع الدراسات المتطرفين دينيا بشكل مباشر، خاصة المتطرفين من النوع العنيف. وقد تناولت دراسة سيمي التطرف العنيف ولكن لم تكن العينة من المتطرفين دينيا. لقد استعاضت اغلب

الدراسات عن مفهوم التطرف الديني نفسه بمفهوم التوجه نحو التطرف، علما ان بين هذين المفهومين فرقا مفاهيميا وتطبيقيا يجب ان ينتبه له المتخصصين والباحثين.

منهج الدراسة: دراسة الحالة

اولا: المقابلة: وسنقوم بعرضها في صيغتها الدينامية وسيتم تقسيمها الى محاور لكي يسهل الوصول الى نتائج دقيقة. تم بعد ذلك تحليل المقابلة على شكل مفصل. اعتمدت هذه الدراسة على النوع المقنن من انواع المقابلة.

ثانيا: اختبار تفهم الموضوع: يتضمن عرض استجابة الحالة وتفسيرها بطريقة التحليل النفسي الكيفية اي تحليلا كليا ديناميا.

ثالثا: سواء اثناء المقابلة أو اثناء تطبيق الاختبار حاول الباحث الاحتفاظ بالملاحظة كأحد فنيات دراسة الحالة. لقد اكدت الكثير من الدراسات اهمية الملاحظة في دراسة الحالة. وقد قدم فرويد نظريته في كتابه "خمس حالات في التحليل النفسي" على دراسة حالة "هانز"، وفعل ذلك مع "دورا". ان نظرة سريعة الى الأدب السيكولوجي تكشف أن معظم علماء النفس اعتمدوا على دراسة الحالة (غزال، 2019، 143).

المقابلة

أ- السن: 30

ب- الوظيفة: طالب جامعي (ادارة واقتصاد- مرحلة ثالثة)

ت- الحالة الاجتماعية: متزوج

ث- عدد الأخوة والاخوات: 7 (3 ذكور، 4 اناث)

ج- سن الحالة عند انتمائه للجماعات المتطرفة: في عمر 23 سنة انتمى للتنظيم، وقد افاد بان سبب انتماءه هو (الثأر لمقتل عدد من اقاربه، ومن ثم انه واجب شرعي).

ح- التهمة وتوصيفها: الانتماء الى تنظيم مسلح وفقا للمادة 4 من قانون مكافحة الارهاب. وقد ألقي القبض عليه ضمن مجموعة قامت بعدد من الاعمال الارهابية.

خ- تصور الحالة للأب: أبي كان رجل فقير يعني فلاح على بسيط، ما يعرف غير اخواته وأعمامه يعني ما يعرف شيء خارج نطاق عشيرته وارضه، وكان جندي عادي قبل سقوط النظام وما عنده اي ارتباط بالسياسة ويخاف من الحكومة من زمان...بعد دخول الاميركان وحملات التفتيش المستمرة والاعتقالات كان يخاف علينا ويقول لنا لا تخرجوا اليوم...لا يأخذوكم. وما كنا نطلع ونتركه هو وحده يطلع للأرض ويتعب بعدين صار ما يقدر كبر وعجز واحنا يوم نساعده وايام نبقى بالبيت وايام نسافر عند اقاربنا في محافظات ثانية بسبب الحملات ووجود مطلوبين بالمنطقة. من كنا صغار كان يضربنا احيانا وما يقبل واحد يناقشه كأي أب في القرية عدنا... الأرض يبست واشغالنا توقفت.

د- تصور الحالة للأم: كانت أم فقيرة كأي أم لكن ما تخاف كثيرا، وما كانت تقدر على أبي ومرات تقدر تغير رأيه اذا عاندت، اما احنا الأولاد كانت تعاملنا احيانا بس بالبداية جيد، ولكن بعدها تبدي تعاقب بدنيا. كانت ربة منزل بس تعرف تقرأ بعض الكلمات، ومرات تقدر تكتب كلمات: اسمها، أو الله، محمد ...الخ كلمات قليلة حافظتها.

ذ- التاريخ الدراسي: كنت اكره المدرسة، كنت اتنمى يقصفوها بصاروخ بس كون ما فيها احد بس البناية ...كانت المدرسة بالقرية نفسها بس نمشي مسافة انا واخوتي واولاد عمي، وكنت انا احسن

من اخوتي واولاد عمي بالدراسة خاصة بالرياضيات واول واحد حفظت جدول الضرب، وكنت اتفاخر بهذا الشي، كانوا يشجعوني واني بفرح بهذا الشيء. بعدها دخلت المتوسطة بدأت اتراجع، اعتقد بسبب ان احد لم يعد يشجعني، أو اظن بسبب سقوط النظام ودخول الاميركان والوضع تغير كله، ولم يكن احد يهتم بهذه الأمور. بصعوبة عبرت الثالث المتوسط، وكنت مثلهم افكر بأنهم سوف يجيئون ويعتقلوننا، يعتقلون ابي، لأن اعتقلوا كثير من جيراننا، وكان واحد صغير اعتقلوه، كان اكبر مني بكم سنة، فكرت لو يعتقلوني ماذا اعمل؟

ر- التاريخ الشخصي: من كنت صغير كنت مثل اي طفل بس كنت اذكر يخوفوني كثير ب(الحرامي، السلعوة، والجني، وطنطل) وكنت اخاف من وقت الظهيرة بالصيف لآن كلها تنام واني ما اقدر انام، وبالليل ايام طويلة كنت اخاف بيها، طبعا خوف الليل اقوى من خوف الظهر كثير. واذكر ايضا لما كانوا يعطوني مصروفي كنت اضمه واجمع وبعدين اشتري بيه كله وكان اخوتي واولاد عمي يفلسوا واني اضحك عليهم. كثير ذكريات .. بيها الحلو وبيها المر.. كانت افلام كارتون (عدنان ولينا) احلى شيء، كنت اندمج واحس اني (عدنان) وانقذ (لينا) واخوتي واهلي.

ز- بداية الانتماء: بعد مقتل قريبي، وقبلها اعتقال اقاربي وعدد من جيرانه، بدأت افكر بشكل جدي في الانتماء، كان تفكيري قبلها مجرد تضامن معهم، واحيانا كنت اوصل بعض المعلومات لقريبي حول تواجد القوات الأمنية ولكن بشكل عرضي يعني مجرد جزء من احاديثنا الاعتيادية، كذلك كان يبيت عندنا ايام ما كان يشعر انهم سوف يداهموا بيتهم، وكنا نتناقش واخوتي معنا، واحد من اخوتي يرفض الانخراط بشدة حينما كان يدعوهم كان يقول له ما اريد ان يمسكوني ويغتصبوني في السجن. وبعد سجن عدد من اقاربي ومعارفنا وجيراننا. ثم سمعنا ان قريبي قتل في احد العمليات ناقشنا الموضع بينا اخوة واقارب وماذا سنفعل؟ وكيف سندافع عن انفسنا؟ ولكن لم نتوصل لقرار، لكني وبعدها بيوم واحد، يومها لم انام الليل فيه وانتظرت الصبح يطلع رحت لأحد معارفي يعمل بالتنظيم وما كان اهله يعلمون بأمره، وبحثت عنه وما كان موجود وقتها وخبرت اهله اني اريده بشغله من يجي ضروري اشوفه وفعلا شفته بنفس اليوم واتفقنا اعطي (البيعة). وبعد ما اعطيته البيعة ندمت وفكرت اقله اريد اسحبها وعشت صراع بين قبول ورفض.

س- تصوره عن الانتماء والتطرف: وباستخدام فنيات المقابلة استطعنا الحصول على تاريخ الحالة من ناحية تطرفه، وهي كما يلي:

حينها بدأت اتقصى اخبار التنظيم من الناس المحيطين بي ومن التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي واشاهد الكثير من مقاطع الفيديو التي يبثها التنظيم، وقد تعلقت بها كثيرا، وكان احد اقاربي منتم للتنظيم ومطارد من قبل الحكومة لكن الجميع كان يتحدث عنه بفخر واعتزاز. واخر من اقاربي (سلفي قديم) منذ عام 2004 يحمل (علما شرعيا) وقد انتمى الى التنظيمات التي كانت ناشطة وقتها، والتقيت به عدد من المرات ولعب دور في اقناعي بالانتماء، واني سأكون برفقته ورعايته داخل التنظيم. بعد مقتل قريبي بدأت بالعمل فعليا. قلت بدل ما اموت من الخوف اموت واني مرتاح احسن وأخذ بثأري وثأر أهلي. وافهمونا انه في البداية قتال المحتل الاميركي، ثم بعدها بدأنا بكل ما يطلب منا، وتنفيذ عمليات مختلفة شملت العراقيين سواء من القوات الامنية وغير الامنية من السكان العاديين، المهم يكونوا كفار، وهم ما امرنا الله بقتالهم وقتلهم. لكن من أهم ما كان يعجبني في افكار التنظيم هو ايمانهم وأنا معهم بان عصرنا هذا هو العصر الذي اخبر عنه الرسول الكريم (ص)، وان مرحلة الحكم الجبري تنطبق على

عصرنا كما اخبرنا (ص) وأوصانا بالجهاد والرباط، لكي ننتصر ونعيد للإسلام هيبته، وكان (ص) قد وعدنا اننا لو تكاتفنا وجاهدنا ورابطنا فعلى ايدينا إنشاء الله ستفتح روما. حتى وان قتلونا في السجون فتلك علامة ايضا فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم... الصليبيون واعوانهم الحكام الجبابرة الذين يتكادمون على الحكم تكادم الحمير، الذين قلوبهم قلوب الشياطين. صدقني ما بقي شيء، إذا ما مت اليوم ستموت غدا، لكن بدون كرامة، فمت مع الجماعة المؤمنة التي وعدها الله تعالى بالنصر حتى لو هزمت الى حين فالله سيتم نوره ولو كره الكافرون... غصبا على الاميركان وأذنابهم الطغاة والحكام الظلمة.

تحليل المقابلة:

اتضح أن تفكيره مركزا على جهتين الاولى احساسه بالعجز والتردد وفقدان السيطرة واليأس وعدم الشعور بالأمن والأمان والطمأنينة، وهي مشاعر ناتجة عن سيطرة الشعور بالخوف وهو شعور مكبوت يبدأ من الأب ثم - كما أشار- من بعض الكائنات الخرافية التي تنتشر في الثقافة الشعبية، ثم انتقل الخوف الى العدو الخارجي ممثلا بالاحتلال الاميركي (يشير فرويد الى ان الأنا هو الموضع الحقيقي للخوف، وان هناك تلازما بين القلق والكبت، حيث ينتج القلق الكبت)، وبدأت صحته النفسية في فترة المراهقة بالتدهور وعلاماته الدراسية تنخفض، ولقد صرح بان الحياة اصبحت غير مفهومة بالنسبة اليه في فترة المراهقة، (تجدر الإشارة هنا الى ان مصطفى سويف توصل الى ان من أهم اسباب تطرف الاستجابة هو الشعور بفقدان الأمن والطمأنينة، والشعور بالتردد والتوجس فيما يتعلق بالمواقف الغامضة أو غير المألوفة وعدم التكيف معها)، هذا من ناحية، ومن جهة اخرى تتسم الحالة بالتركيز على الدين وخاصة افكار الموت ويوم القيامة، وهي كلها مواضيع زادت من تقوقعه في ذاته ومن تشاؤمه وأورثته نظرة غير واقعية للحياة. فنراه يثور لأبسط الاسباب ويقوم بعملية تفريغ للانفعالات في الافراد المحيطين به بما لا يناسب الحدث، كأن يفسر اجتياح الاميركان للعراق بأنه علامة من علامات الساعة ودلالة على اقتراب نهاية العالم. لقد اكتشفت بصفتي باحث في موضوع التطرف الديني ان بعض العبارات التي وردت على لسان الحالة تعود الى اقوال مجتزئة من اقوال تعود للنبي (ص) وأن بعض التنظيمات المتطرفة قامت باجتزائها وتوظيفها لصالح ايديولوجيتها. لقد مزج هذا الاحساس (الآخروي) باوهام الاضطهاد واعتقاده بان سقوط الخلافة العثمانية ومن ثم سقوط بغداد هو من علامات نهاية العالم. ان مثل هذه الافكار اصبحت شائعة دينيا واجتماعيا بين اوساط المتدينين بعد الحدث الصدمي للغزو الإميركي، وقد تم شحن هذه الافكار والتصورات بدلالات رمزية ووجدانية ذات طبيعة لاشعورية وهوامية مما جعلها غير قابلة للنقاش، فيصبح تركها تهديد لوجود الذات الذي يؤجج هوامات الفقد والاضطهاد ويفتح الباب امام عودة المكبوت. ويتحدث فرويد عن أهمية الخوف في التجربة النفسية وكونه مركز من مراكز الاعصبة التي تصيب الانسان، ويقول فرويد (1982، 13) ان تعريض غريزة حفظ الذات للخطر يمكن أن ينتج عصابا صدميا.

كل ذلك سهل تقبله لفكرة الموت مع رفض وخوف كبير منها (من كثر ما خفت تمنيت ان اموت). فحين طرحت امامه فكرة القتال واحتمال الموت المحقق رفضها وقبلها ثم رفض و.. وظل يصارع الفكرة دون حسم الى ان جاء احد اقاربه وهو صديقه وكان يتكلم حول (الثأر، وانه لن يتحقق إلا بالجهاد وقوة التنظيم، وإن الله وعدهم بالنصر، وان على ايديهم ستفتح روما...).

ان مواجهة ضغوط يصعب السيطرة عليها ترتبط احيانا بصدمات نفسية في الماضي احيانا، جعلت منه يتجه صوب هذه الافكار الآخروية التي يمكن اعتبارها من طرائق التفكير الهوامي Fantasy thinking . ثم تدفق الصور المزعجة، والتفكير المتكرر في بعض مشكلاته والحضور شبه الدائم لبعض

المشاهد المؤلمة في الذاكرة هي صفات شائعة في بعض انماط الشخصية من اصحاب السمات الكمالية والعصابية أو الاشخاص المصابين بكرب ما بعد الصدمة. ان ظروف الاحتلال والحرب الطائفية في العراق اصابت المجتمع كله بصدمة تم الاستجابة لها نفسيا بطرائق مختلفة، ظهرت جماعات آخروية تدعي قرب حلول نهاية العالم، وهي جماعات لديها أنا جماعي نرجسي وعنيف، لديها أنا أعلى متصلب وقاسي. ان الطبيعة الدينامية لهذه الأنا الجماعية تجعل وجودها يقوى ويشتد إذا ما كان هناك بالمقابل أنا جماعي آخر يمثل قوى مضادة ومعادية، ويتفكك ويسترخي وجودها تحت ظروف انعدام التهديد، ويتحدث الدكتور صفوت فرج (1993) عن تسلل الهو العدواني والبدائي الى الأنا الأعلى ليبرر الإرهاب باعتباره كفاحا اخلاقيا لسيادة صورة مثالية. ويلفت فرج الانتباه الى اهمية وجود عنصر الايديولوجية الذي يساهم في تطوير بعض المواقف النفسية وتحويلها الى فعل قتل وارهاب، فهذه الايديولوجية تشكل نحن فرعي، نحن إيماني ينكر الآخر ويجابه النحن الأم للمجتمع ككل ويرفض من خلاله مشروعية وجوده. وبحسب ميلان كلاين فان البحث عن الأمن والأمان يجعل الجماعة المرجعية النرجسية امتدادا رمزيا ل(الأم الحامية) من الاخطار التي تهدد الذات، وتعيد تجربة الانصهار من جديد في الأم، أو الأصل، والجوهري، وكل اختلاف عنها خروج عن الدين والحقيقة والنظام ويسبب اغتراب الذات واختلالها وضياعها. وهذا هو الفرق بين التهديد العادي الذي يطال الفرد والتهديد الذي يطال وجوده وامتداداته الدينية والفكرية والاجتماعية والثقافية.

لهذا ظلت الحالة تعاني من الاحساس بالعجز واختلال التوازن النفسي ، واستمرت الهوامات الطفلية تتماهى وخطط التآمر (البرانويا هنا تشتغل كأسلوب دفاع). لقد اصبح الآخر مسئولا عن الطرد من الجنة الضائعة (الأم) ومسئولا عن ضياع الدين والوطن والأمة (الجنة المتخيلة). هذه الاحاسيس والمشاعر يمكن أن تفتح الباب لعدد غير محدود من الاضطرابات والامراض النفسية. أن نشير الى واحد منها يكون هو الأقرب في مثل هذه الحالات وهو العصاب المسمى عصاب الهجر Nevrose d;abandon .

لقد أشار كل من شارل أوديه وجيرمن غيكس (1950) ان عصاب الهجر يرتبط بحالة اساسية من انعدام الطمأنينة العاطفي، وتظهر اعراضه وهي: القلق، والعدوانية، والمازوشية، والشعور بانعدام القيمة. ان الحاجة اللامحدودة الى الحب والطمأنينة المفقودة تتخذ لها من الاندماج البدائي للطفل مع أمه نموذجا أوليا، ولكن يتطور هذا الاندماج أو يتحول ليتخذ له اشكالا اخرى (لابلانش، وبونتاليس، 2011، 571).

اختبار تفهم الموضوع Thematic apperception Test (TAT) :

يعد اختبار تفهم الموضوع TAT من اشهر الاختبارات الاسقاطية ولا ينافسه في تلك الشهرة والانتشار إلا اختبار الرورشاخ. ويعود استخدام مصطلح "الاسلوب الإسقاطي" الى فرانك حيث ذكره في مقاله له عام 1939، لكن الاسلوب سبق استخدامه في صور متنوعة قبل هذا التاريخ وبخاصة في مجال العمل الاكلينيكي، وفي تحليل النتاج الفني والأدبي (مليكة، 1997: 615). ويتبع التات الاساليب البنائية التكوينية Construction Procedures التي تتطلب من المفحوص تكوين أو بناء قصة أو اقرب الى القصة، والتي تتطلب بدورها نشاطا ذهنيا اكثر ضبطا وتماسكا من المفحوص.

ويتفق اغلب العلماء والباحثين ان اختبار تفهم الموضوع من اكثر الاختبارات الاسقاطية استخداما وشيوعا، سواء في الدراسات النفسية عامة أو في عيادات الطب النفسي، رغم مضي عقود طويلة على

ظهور هذا الاختبار، إلا انه ظل يتميز بمكانة علمية في القياس النفسي الاسقاطي في جميع بلدان العالم (غنيم وبرادة، 1975، 118)، (مليكة، 1980، 429)، (فرج، 1980، 43).

ويشير هنري موراي (1963) الى ان اختبار تفهم الموضوع هو اسلوب لدراسة الجوانب الاجتماعية والنفسية في الشخصية. وهو اسلوب اسقاطي يطلب فيه من المفحوص أن يتخيل قصصا تدور حول صور تتفاوت في درجة غموضها، وعن طريق تحليل هذه القصص يمكن القاء بعض الضوء على ديناميات شخصية المفحوص كما تكشف عن نفسها في تفهم المفحوص لهذه الصور وما تتضمنه من منبهات يتباين غموضها. ويساعد هذا التحليل في تكوين ورسم صورة مبدئية عن مفهوم الذات لدى المبحوث وعن نظرته لبيئته وعلاقاته الشخصية والاجتماعية (سند، 1989، 167). فاذا كان اختبار الرورشاخ يكشف عن الجانب الشكلي التعبيري للعمليات الفكرية وللتنظيم الانفعالي، ومن ثم عن انماط مميزة للعمليات مرضية معينة، فإن اختبار التات يمدنا بالمحتوى أو المضمون وبديناميات العلاقات الشخصية الاجتماعية، كعلاقة المفحوص بنماذج السلطة، وبما يكشف عن امتدادات واصول هذه العلاقات في النمط العائلي (منصور، وفرج، 1975، 137).

يشير Bellak الى ان القصص التي يستجيب بها المفحوص لصور اختبار تفهم الموضوع قد تتضمن عمليات اقل تعقيدا من الوجهة الدينامية، فقد تكون نوع من التعبير أو الموائمة، ولكن يتعين على كل حال افتراض أن لها سببا أو اكثر من سبب ومعنى اتساقا مع مختلف مستويات التنظيم النفسي، فقد يتعمد المفحوص اخذ القصة (شعوريا) من فيلم سينمائي رآه مؤخرا، أو قد تعكس صراعا مهمًا يوجه المفحوص على مستوى قبل- شعوري، واحيانا قد يكون للقصة دلالة رمزية في مستوى لاشعوري (مليكة، 1997، 616).

تفسير الاختبار:

تتعدد وتتنوع طرق تفسير اختبار تفهم الموضوع TAT طبقا لتدريب مستخدم الاختبار والمدرسة التي ينتمي اليها وكذلك طبقا للغرض من تطبيق الاختبار في الحالة المعنية وطبقا للوقت المتاح (مليكة، 1980، ج1، 434).

اتبع الباحث طريقة موراي في تحليل وتفسير النتائج المستخلصة. لأنها طريقة تعتمد على الاسلوب الشمولي أو النظرة الكلية Molar للشخصية، وهي الأجدى من وجهة نظر الباحث، و- ايضا- لانسجامها مع باقي الادوات التي اعتمدها الباحث والتي تنتمي الى المنهج الاكلينيكي كالمقابلة. وقد اشار الى اهمية مبدأ "الوحدة الكلية" في المنهج الاكلينيكي العديد من المتخصصين (هامش انظر على سبيل المثال دراسات صلاح مخيمر، أو كتاب سامية القطان: كيف تقوم بالدراسة الاكلينيكية). ان الاختبارات الاسقاطية مثلما تقتضي التحليل الكيفي كذلك تقتضي التحليل الكمي، فاعتماد طريقة المعطيات الكمية (ومن اشهرها طريقة شانتوب) له فوائده الكبيرة من جانب تحديد "السياقات النفسية"، وضرورة الاهتمام باقتران كل سياق نفسي مع مثيلاته من السياقات النفسية الاخرى، وهو ما يستلزم تحليل كل بروتوكول لوحده في ضوء اشكالية الصورة نفسها.

أن أول مهمة في التفسير هي التعرف على البطل الرئيس للقصة، إذ يحمل تحديد البطل دلالة على الشخصية التي يتماثل معها المفحوص ويسقط عليها مشاعره، ورغباته، ونزعاته. القصص التي يستجيب بها المفحوص للصور هي بالأساس اسقاطات - لمشاعره وافكاره ودوافعه - على اشخاص أو على موضوعات في العالم الخارجي. ويشير محتوى القصة الى الموضوعات (الثيمات) الرئيسة الغالبة

في القصة والتي تشمل البطل، والحاجات الأساسية، وضغوط البيئة والعمل والعالم الخارجي، وما هو موقف البطل تجاه هذه الحاجات والضغوطات (عباس، 2003: 36).

لقد تم اختيار اللوحات التي يستخدمها الباحث في دراسته عن طريق العرض على (6) محكمين من المتخصصين في علم النفس، وعلى ضوء آرائهم تم اختيار اللوحات التي حظيت بأعلى نسبة اتفاق وهي:

1 – 8BM- 11- 12M- 14- 15- 18BM- 19- 20- 3BM- 2- 4- 6BM- 7BM- 13B- 16- 12BG- 9BM- 13MF- 17BM

واتبع الباحث الطريقة الكلية في تفسير نتائج استجابة المفحوص للوحات لأهميتها، فحينما وضع موراي اختبار تفهم الموضوع وضع طريقة لتفسير نتائج القصص، وتعتمد على قدرة الفاحص على توظيف فنيات التحليل النفسي، وليس الطرق الاحصائية. يشير عبد الله عسكر (2001: 212) الى ان استخدام الطابع المعاييري والنمطي على وسائل دينامية يعد خطأ منهجيا، لتعلق الأمر اساسا بصدق التفسير وليس صدق الاختبار، فليس هنالك اهمية ترتجى من تطابق استجابة مفحوص مع استجابة مفحوص آخر، كما وان ليس هناك اهمية نظرية في تفسير الاختبار سوى الإلمام بفنيات التحليل النفسي.

هذه الطريقة لا تعتمد فقط على الاستجابة المباشرة على البطاقات، بل تضع بالحسبان العديد من المؤشرات التي تتمتع بدلالة نفسية مهمة (لقد اجمع عليها اغلب مستخدمي الاختبارات الاسقاطية والمحللين النفسيين) وهي علامات الشطب والخطأ والتصحيح، وفترات التردد أو الصمت أو علامات الدهشة والاستغراب وأية تعليقات تصدر، وباقي الملاحظات المسجلة من قبل الفاحص عن السلوك الاجمالي للمفحوص. وهذه الملاحظات لا تأتي إلا اذا نظرنا لاستجابات الشخص على الاختبار وسلوكه كوحدة كلية.

ثبات وصدق الاختبار

من أهم ما اثير من جدل فيما يتصل بالاختبارات الاسقاطية هو مسألة استخدام الكم والإحصاء في معالجة بياناتها، وقد اختلف العلماء والباحثون حول قياس الثبات والصدق في هذه الاختبارات، وقد اشار هولت الى ان الهدف الأساسي الذي وضعت من اجله لا يتعلق بالثبات والصدق بقدر ما يتعلق بما تقدمه من معطيات مهمة عن ديناميات الشخصية وعروض اكلينيكية عن الأفراد (غانم، 2007، 201).

اختلف الباحثون في طريقة حسابهم لثبات وصدق هذا الاختبار، فمنهم من عمد الى ضرورة ان يكون مستخدم التات ملما بالصدق والثبات، يرى الكثير من الباحثين انه من الخطأ ان نلصق باختبار التات مثل هاتين الميزتين الاحصائيتين، وذلك لجملة من الاسباب، منها:

1- ان اختبار التات - كما يرى Holt - ليس اختبارا بالمعنى المفهوم أو المراد في الاختبارات الاحصائية أو النمطية الاخرى كاختبار قياس الذكاء على سبيل المثال. لقد نشأت فكرة اختبار التات لدى موراي ومعاونوه ثمرة جهدهم لنقل الميدان الاسقاطي من مستوى الانماط والفئات الى مستوى الدلالة والرمز، حيث التناول الدينامي للظاهرة في صيغة كلية تتبع السياقات والأنساق، وهو ما يطلق عليه صلاح مخيمر(مخيمر، 1981) المنهج الغاليلي في التفكير والذي نصل معه الى اعادة بناء الوقائع بناء جديدا ليتحقق النموذج التفسيري. ان الأساليب الاسقاطية تقوم على مفاهيم اساسية كمفهوم اللاوعي والإسقاط (التحليل النفسي)، ومفهوم إدراك الكليات (الجشتالت)، وهي مفاهيم تقوم على فهم الشخصية فهما شاملا، وليس كمجموعة من السمات تظهر لدى الفرد حتى يستجيب للمثيرات الخارجية.

2- الاختبارات الاسقاطية تعتمد النظرة الكلية للشخص وتجعلها منطلقا لقياس بعض الخصائص النفسية (الطيب، 1986، 341). في الاختبارات الاسقاطية من جهة طبيعة الاستجابة يكون المفحوص

غير مقيد، بل يبقى محتفظا بحريته لمنبهات الاختبار الاسقاطي، وهذا ما لا يتوفر في المقاييس السيكومترية.

3- مفهوم الثبات في اختبار التات يقوم على قياس ثبات دلالة الاستجابة، وليس ثبات الدلالة نفسها كما في الاختبارات الموضوعية. الاختبارات الاسقاطية لا تقيس المظاهر السطحية للشخصية، بل غايتها تتحقق في التعرف الى البنى الأساسية للشخصية والديناميات المؤثرة فيما يظهر للخارج من استجابات.

4- يحسب الصدق في اختبار التات بناء على صدق التفسير والتأويل وهما يعودان الى المدرسة التي يتبناها القائم بالاختبار، فلا يكتفي اختبار التات بصدق الاداة كما في المقاييس الاحصائية الموضوعية.

ونتيجة لهذه الاسباب، اعتمد الباحث المقابلة بما فيها من ملاحظة بالإضافة الى تطبيق الاختبار على حالة متطرفة دينيا معتمدا الطريقة الكلية الدينامية للتعرف على السمات الشخصية وفهم البناء السيكودينامي للحالة موضع البحث. مع العلم التزم الباحث بعرض اللوحات على عدد من المتخصصين في علم النفس والطب النفسي لترشيح اللوحات الانسب للعينة ونوع متغيرات الدراسة.

وفيما يلي عرضا لاستجابات المفحوص على البطاقات، ويتضمن القصة التي ادلى بها مع الاستفسار، ثم تفسير القصة، وهي كالتالي:

البطاقة رقم "1"

القصة: طفل جالس محتار وفي احتمالين: أما كمنجته مكسور وما يعرف منو سوف يصلحه أله، أو أن اهله مثقفين واغنياء لأن الفقر ما عدهم يشتروا هيك شغلات. اشتروا له هذا الكمان يلهو بيه من أجل ان يتركوا ويطلعوا يتفسحوا. لهذا تقدر تشوف كمية الحزن عنده بادية وكأنها راح تخنقه، ما يعرف أيش يعمل... لا حول ولا قوة إلا بالله... الناس وضعها دائما صعب، وهذه الحياة والله ما تسوه، وشلون بينا والله صدقا ما اعرف.

-الباحث: وماذا بعد؟ تقدر تكمل؟

-يعني... مبين عليه ضجر، مخنوق، خطيه لماذا تركوه، مبين محد بحاله. جاي شوف شلون قاعد وحده. واذا تسألني الآن كيف يعمل، اقلك ولا اي شيء، لأن مبين يخاف، حباب بس همه ما حاسين بيه.. الولد يعاني.

التفسير

تكشف استجابة المفحوص مدى ما يعانيه المفحوص من حيرة مستحكمة وضيق ووحدة وعجز وشعور بوطأة المعاناة. كذلك تظهر استجابته انهماكه النرجسي والاستغراق في ذاته. فتكشف عن فشله في ايجاد حل لصراع الأنا والأنا الأعلى من جهة، والأنا والهو، من جهة اخرى. وكل هذه الصراعات تجيء بسبب ان الأنا ضعيف وخائف ولا يستطيع حسم الصراع، حتى بعد الانخراط في الجماعة المتطرفة والقيام باعمال توصف بانها بطولية من وجهة نظر الحالة، وبقي ضعفها متحكم حتى الاقتراب من النهاية المؤلمة في السجن، ومواجهة الموت وحيدة. ربما يكون سبب ضعف الأنا حتى بعد فوات الأوان هو نوع من النرجسية التي تتمسك بها من خلال التمسك بمواصلة الصراع كملاذ أخير للهرب من الحقيقة القاسية، الموت.

تفاعل جيدا مع اللوحة واسقاط ذاته وبطلها والتوحد معه. لذا فصورة الذات لديه طفلية تبحث عن الأم في نفس الوقت الذي تريد الاستقلال عنه. صورته للذات تحمل شفقة وخذلان، وطلب بشكل صريح موجها كلامه للأهل ان يهتموا بالولد كتورية عن رغبته في الاهتمام به هو، وكما نلاحظ فانها ثنائية ضدية فهو ولد طفل من جهة ومن جهة اخرى هو البطل القوي. صراع الذات بين التبيث الطفلي على الأم الحب الأصلي، وبين العبور الى الأب الغامض، هذا الغموض المهدد بالخصاء تسبب له بمزيد من شعور

الخوف والعجز والتأنيب. اما صورة الآخرين (خاصة الوالدين) فيعتبرهم مقصرين، وهم السبب في كل ما حدث له. كأنه يقول لولاهم لما كنت في هذا المكان اواجه هذا العذاب الآن. تحميل الأهل المسئولية كاملة واعفاء الذات منها.

البطاقة 8 BM

شكله مشهد غير حقيقي، وإلا كيف يتم ان هناك ناس تشرح بجثة واحد مرتدي بدلة وبكامل هيئته ومسرح شعره ومصفف جيدا، وبعدين هذه البندقية.. كل شيء يوحي انه يذكر حادث قديم شافه ومأثر فيه، كأن يكون ابوه أو اخوه قتلوه أو قتل نفسه بس أظن صوب عن طريق الخطأ ويخافوا يرسلوه الى المستشفى، فقرروا يجلبون الطبيب للبيت بس علهم يوقفون النزيف وبعدها يا يعيش... يا يروح الى رحمة ربه.

أو اعتقد ... شوف هذا يشق بطنه، اضن راح يقتل الرجل، شكله لا يعرف ماذا يفعل، لأن يريد يطلع الرصاصة يقلك على الله واقدر اجعله يعيش لأن راح يموت قبل ما يجيء الطبيب، أيش يسوي؟ الله وكيلك كل شيء ما بأيده. ياما ماتت عالم وناس، ولا احد بحالهم، ويصل به الأمر الى الاعتقاد بأن احد ذويه قام بقتله، ابوه أو اخوه.

التفسير

الوصف كله مشبع بأجواء الموت والاحتمالات التي وضعها للقصة كلها تنتهي بالموت. سرعان ما تفاعل مع البطاقة مسقطا ذاته على البطل ومتفاعلا مع الافراد الآخرين في البطاقة.

يؤكد حادثة الترك التي اكدها في البطاقة السابقة، واحساسه بالوحدة والتخلي عنه وتسليمه لقدر اقوى منه وكما قال في المقابلة (وضعوني على حافة الهاوية وتركوني). وايضا يلجأ المفحوص الى الدفاعات الدينية والقدرية في القاء التبعية على القدر والعالم كوسيلة للدفاع ضد القلق والتوتر التي تهاجم الذات.

البطاقة 11

هذا المكان ايضا غير حقيقي، يا اما لقطة في فيلم أو واحد متخيله. (سكت)

الباحث: اكمل، وماذا بعد؟

والله غير واضح شيء تقريبا بس شكله مرات الواحد يحلم بهكذا اشياء، مرة حلمت... (وجه سؤال للباحث): تريد احكي لك... ما حلمته قريب على هذا الشكل؟

الباحث: نعم

شوف مرة حلمت اني معلق بهكذا مكان وافعى مثل هذه التي في الصورة .. حتى الآن ما يروح من بالي هذا الحلم، لأن قعدت خائف، وفكرت بعذاب القبر ويوم القيامة... بس هذه الصورة لا تساوي شيئا والله مما اعد الله من عذاب للكافرين... شوف الحية... هذه الحية الكبيرة كأنها دينصور.... ما هذا الذي يعبر فوق الجسر اظن بقر أو خيل، لكن لماذا ملفوفين هكذا.. هذه الصورة مخربطة.

التفسير

اثارت هذه البطاقة تذكر احد الاحلام المهمة التي حازت على درجة عالية من تذكرها رغم قدمها. ويشير صلاح مخيمر (1977، 16) الى عدم وجود اختلاف نوعي بين التداعي الحر ولوحات التات من وجهة نظر المنهج الجاليلي.

يدور هذا الحلم حول الرغبة الجنسية المكبوتة التي تحتاجها عملية الانتقال من مرحلة الى اخرى ولكنه ظل يتأرجح، ولم ينجز عملية الانتقال، بسبب غموض موقف الأب وتذبذب تعامله وغيابه جعلته لا يستطع ان يتعين به بشكل واضح. ان التوتر الدرامي الذي تتسم به فترات النمو الجنسي المبكرة يكون

مكبوت دائما لكن تأثيراته تعمل في مراحل الكبر على مستوى اللاشعور، والحلم هو احد تلك النوافذ التي طل منها هذا الصراع والتوتر.

لقد جره الحديث الى مشاعر الخوف الديني وصور عذاب القبر والأخرة المخزنة بفعل التنشئة الاجتماعية، فهو يعاني من احساس بالذنب والخوف وقد جسده في التركيز على مثل تلك المشاهد، علـه يخفف قليلا من قسوة الأنا الأعلى. ظهور الثعبان في الحلم من وجهة التحليل النفسي الفرويدي يرمز الى القضيب، والى الرغبات المكبوتة، وهذا يشير الى استمرار الصراع داخل نفسه، ويؤشر ايضا الى تعميم الخصاء من الأب لشمل رموزا اخرى للسلطة أو لأي قوة قاهرة، غاشمة.

بطاقة M 12

هذه شو... هذا الولد النائم لو مريض بحيث فاقد الوعي لو مات...خلاص.. وهذا ابوه يريد يغمض عينه، خطيه والله ..تعرف احنا هنا هم ميتين... اني من زمان ميت لولا رحمة ربك.. بس انشاء الله يجازينا على نيتنا .. واحنا نيتنا خالصة لوجه الله.. وانشا الله هو يعوضنا كل الي جرى علينا.. الدنيا غير مهمة بعد .. احنا انشاء الله يجعلنا من اصحاب الجنة.. صدقني ما ظل شيء ..والموعد قريب.

الباحث: موعد ماذا؟

المفحوص: الخلاص، النهاية.. مهما اخبرتك لن تصدق، كلكم لن تصدقوا. لكن والله ان الساعة قريبة، وما بقي شيء. تعرف اننا هنا كل يوم واحد تأتيه اشارة في الرؤية الصحيحة تؤكد له ان فرج الله قريب، وها هي اشراط الساعة قد بدأت، لكن اكثرهم غافلون، أو كفار.

التفسير

يهيمن موضوع الموت على القصة. الرغبة في رؤية كل شيء ميت، الميل الى الموت وايقاف حركة الاشخاص في القصة والتعامل معهم كجمادات يمكن تفسيره بأنه نشاط لغريزة الموت التي تضخمت لديه.

اثارة البطاقة المفحوص وبدأ بعملية تشبه التداعي الحر الذي يدور حول اعتقاده باقتراب يوم القيامة واشراط الساعة. ورغم محاولته جعل هذه صور الموت الآخروية اكثر ضبطا واقرب للواقع، لكن غلب عليها شكلا فنتازيا هواميا بسبب تدهور حالته النفسية.

بطاقة 14

هذا مبين.. احسن من الصور التي قبلها .. هذا واحد لو بسجن ...سجن ليس مثل هذا.. سجن اجنبي... وشكله ضجر اكيد .. تجينه ايام نختنق فيها نحن ايضا، ومرات نبكي بس نستغفر رب العالمين ونصبر على هذا الابتلاء ونحتسبه عند الله.. انه عليم خبير...آوففف. (يصمت)

الباحث: في شي تحب تضيفه؟

المفحوص: اي ذكرت ... طبعا هذا الي بالسجن معلق في الشباك لا تظن انه قاعد هيك من اجل ان يفكر يطلع، لا بالعكس لأنه يائس ... قعدته قعدة واحد يائس.. بس استغفر الله لا يأس من رحمة الله...

التفسير

مهما حاول تجنب اسقاط ذاته على البطل إلا أنه يفشل بسبب اضطراب حالته، وكثرة آلامه ومخاوفه حد احساسه بالاختناق والضجر والبكاء، كما عبر بلسانه. لهذا فحين توجه له الباحث بالسؤال، سرعان ما تفاعل معه واستأنف الكلام مرة اخرى بما يشبه عملية التداعي الحر.

تكشف الاستجابة عن مشاعر الانعزال والميل الى الوحدة وعدم القدرة على التواصل مع موضوع الرغبة والحب (الأم)، فهو يشعر بالانهيار دائما وخيبة من كل شيء. كذلك فشل تعويض هذا النقص مع الأب مما جعل احساس الخيبة يتضاعف ويصبح احساسا بالدونية. عدم ايجاد حل لهذا الصراع

بين داخل السجن العتمة والعمق (رحم الأم) وخارجه الضوء والفضاء (الأب)، ربما هو الذي دفعه لاختيار ممارسات متطرفة.

تكشف بعض المؤشرات وجود حالة من اضطراب ما بعد الصدمة، كالقلق الذي انتاب المفحوص فجأة واثناء سرد القصة حينما تذكر حدث مقتل قريبه وحينما تذكر حدث اعتقاله وتجربته عامة في السجن، اضافة الى احساس الخوف والعجز والهزيمة والتفكك من أثر صدمة وهول مشاهد الموت والمطاردة ثم الاعتقال والسجن واحتمال حكم الموت، هذه الاعراض بادية في هذه القصة بشكل اكبر من القصص الاخرى. ان المشاهد في البطاقة استثارت فيه الحدث الصدمي والذي يبدو انه تعرض الى اكثر من واحد، ولكن اشدها ما يتعلق بالموت. كذلك يشعر دائما بانه فقد شيء ما بداخله، وله ذكريات مزعجة واحلام مخيفة لم ينساها كما قال. وهو واقع في حالة تكرار الحدث المزعج واجتراره.

بطاقة 15

شو هذا مرة ثانية.... هم لقطة... كأني شفتها بالتلفزيون من زمان.. بس ما اذكر.. المهم .. هذه الصورة لواحد يخوف كأنه ملك الموت.. يدور على الموتى.. ما اذا كان احدهم لا يزال حيا كي ينهي.. الله يعينه على عذاب القبر.. لكن هؤلاء واضح انهم كفار.. شوف الصليب.. نحن انشاء الله ، الله حافظنا من كل شر.. انشاء الله يفتح لنا روضة من رياض الجنة.

التفسير

مقارنة بباقي البطاقات تعتبر هذه اكثر بطاقة تجسدت فيها هيمنة فكرة الموت والخوف منه، واستيهام تدمير العالم. المقبرة مثلت للمفحوص دوامة من السقوط والضياع في هاوية ابدية. النزعات العدوانية المكفوفة والمكبوتة تعاود الظهور وقد تضخمت بهذه الطريقة العدمية. وصل الخوف حد ان فكر بان الموت يمكن ان يميت مرة اخرى ايضا، الموت الى ما لا نهاية هو هدف غريزة الموت. ثم سرعان ما يستدرك كأنه نسي شيئا، فيجعل الدين بما فيه من صور للرب أو للأب ملاذا وحيدا للتخلص من هذا التهديد الوجودي بالموت أو الخصاء. لذا فافضل آلية يلجأ اليها هي التماهي، التماهي بمصدر الخوف، كرد على الخوف منه.

بطاقة 18 BM

هذا الرجل ميت، بس ليش مطوف هيك... كأنه غرقان وشابع ماء. شو هذا كله موتى، في شيء اليوم؟ الله اليستر.

والله ما ادري ايدي من ذني؟ زين ليش لابس بدلة كاملة؟ يصير منتحر؟ الله علم. ممكن اشوف الي بعدها؟

التفسير

مثل جميع البطاقات السابقة اسقط المفحوص ذاته على البطل فنطقت القصة بمخاوفه وحاجاته على لسان البطل. يستخدم التوحد الاسقاطي Projective Identification من اجل تفادي المخاوف المترتبة على الانفصال، وان اسقاط المشاعر كالخوف والألم يكون بهدف التحكم في مصدر الخوف والخطر. ويشير هذا النوع من الاسقاط الى ان الغرض منه تحديد مصدر الخطر وفي نفس الوقت التمسك به. فاسقاطه لمخاوفه هدفه التخلص منها والتمسك بها في موضوع اي تحديدها واخراجها من عتمة النفس. وبالنتيجة اذا ما استمر هذا الميكانزم بالعمل فانه سوف يفتح امامه امكانية تدمير الموضوع ورغبته، وبهذا يتخلص جزئيا من مخاوفه واحساسه بالخطر.

ومثل البطاقات السابقة هيمنة فكرة الموت على القصة. هذه الهيمنة التي تخفي ورائها خوف شديد وألم وقلق كبير جعله يكتفي بقليل من السرد، ويتوقف دون ان ينهي القصة ويطالب بالبطاقة التي تليها. هاربا منها، كأنها قصته، وكأنه سوف يقرأ خبر موته في نهايتها.

بطاقة 19

هاي الصورة ما واضحة، بس كأنها كوخ صغير وبعيد، معزول وأهله محاصرين بالثلج. بس شنو هذه؟ كأنها عيون، عيون أي.... (صمت).

التفسير

جسدت القصة رغبة المفحوص بالأمن وهو حاجة ظلت مفقودة لديه منذ الطفولة وصدماتها وصراعاتها. ولكن ذكر مفردة (الثلج) تشير الى القوى خارجية مؤذية تحاصره داخل ذاته. وهذا يشير وبشكل واضح الى استمرار خوفه وعدم اشباع حاجته الى الأمان.

لم يظهر استجابة بعيدة عن المألوف، ولكنه اظهر عدم قدرة المفحوص على تكوين قصة متكاملة، بل عبارات تبدو مقطوعة أو قصيرة، ولكنها تكشف الكثير.

بطاقة 20

والله تريد الصراحة كل شي ما باين. ما اعرف ما تقول هذه الصورة.

الباحث: حاول تتأكد، وتحكينا قصة عنها. حاول تغير فيها واتشوف. (قام بوضع البطاقة بشكل مستقيم، بعد ان وضح له الباحث امكانية فعل ذلك. وهذا لكي نساعد المفحوص في الاستمرار بالسرد واعطاء تطبيق الاختبار النتائج المرجوة منه)

المفحوص: آها... الآن صارت مفهومة. هذا شرطي يحرس نقطة عسكرية أو سجن.. أو هيك شيء. بس باين الجو بارد لأن حاط ايديه بجيوبه.

التفسير

تبين هذه البطاقة علاقة المفحوص ببيئته، والمشكلات التي تشغل باله وتسيطر على تفكيره، وهي هنا مشكلة سجنه، فهو يشير صراحة الى بيئة السجن وشخص السجان. وهذه الاستجابة تشير الى عمق مشاعر العجز والخذلان لدى المفحوص، وهو شعور مكبوت لديه، ولم يكد يفارقه - كما تكشف البطاقات والمقابلة- منذ طفولته.

كذلك كشفت القصة حاجته للدفء والأمان ضد تهيد خارجي (البرد)، فوضع اليدين في الجيب تكشف تثبيت على النموذج الأمومي والعودة الى الرحم.

سلوك الاندفاعي المتطرف المتمثل بالالتحاق بجماعات مسلحة وخوض معارك وقتل ابرياء جاء هذا السلوك يعكس استجابة سيكوباتية ناتجة عن اضطراب العلاقة بين الذات وموضوع الحب الذي بدأ بالأم وفشل، ثم الأب وكان مصيره الفشل ايضا.

بطاقة 3 BM

(وجه سؤال للفاحص: هل هذه امرأة أم رجل؟ وكان رد الباحث: الي تشوفه انت. صمت. ثم بدأ) هذه امرأة او رجل...ليس فارق المهم ... شكلها شاربة مخدرات أو مريضة بمرض خطير أو ميت رجلها. وبس.

التفسير

رغم سؤاله إلا أنه تعامل معها كامرأة وبدأ يسقط عليها مشاعره السلبية (مخدرات، مرض، موت). التوحد الأنثوي هذا يشير الى ان المفحوص لازال اسير الأم وتثبيته الطفلي عليها وخاصة بعد امتناع الأب لأن يكون موضوع لتوحد المفحوص. هذا الرفض جعله يسقط مشاعر سلبية تصل حد الموت أو قتل الأب (عقدة أوديب).

تحريف ادراك انها امرأة يشير الى اهتمام انثوي. تجاهل المفحوص للمسدس كلية ولم يذكره عن عمد يشير الى دلالة تهديد جنسي مكبوت (خصاء) ولكن دون ان يرقى لحل الموقف الأوديبي. وبسبب هيمنة الأنا العليا وقسوتها نرى دائما هيمنة رغبة لفكرة الموت على المشهد، سواء كوسيلة دفاع هروبية أو كوسيلة دفاع إسقاطية.

البطاقة 2

هذه المرأة السافرة شعرها ... والرجل العاري الذي ورائها، والمرأة الثانية كأنها حامل، كأنهم مأخوذين من فيلم اجنبي.. شوف حتى طريقة حرث الأرض... حصان ابيض.. ما عدنا احصان ابيض. (توقف عن الكلام).

الباحث: ممكن تقول لي عن ماذا تعبر هذه الصورة؟ لماذا هم هكذا؟

المفحوص: هم هكذا .. شكل هذه البنت طالبة مدرسة، أو لا، جامعة. وقادمة من الدوام متعبة، أهلها فقرة فلاحين وبالجامعة بنات وشباب اغنياء وهي حائرة كيف راح دبر أمورها، تضغط على أهلها لو... والله ما ادري.

التفسير

تشير هذه البطاقة الى وجود مشاكلات ناتجة عن اضطرابات في العلاقات الأسرية تكشف من خلال اسقاطه على بطلة القصة وافتراضه ان لديها مشاكل تتعلق بتدني الذات وخضوع الذات. وتكشف القصة عن احساسه الدائم بالهزيمة امام صراعاته الداخلية خاصة سطوة الأنا العليا التي تعبر عن القوانين والاعراف الاجتماعية. ومحاولة التهرب من ايجاد حل لمشاكله بإيجاد تسوية يقدمها الفهم الديني لديه.

انتباهه الى حراثة الأرض بطريقة ثقافية - رغم الدلالات الجنسية الواضحة في هذه الرموز- حيث اشار اليها من باب اختلاف حضاري بين الشرق والغرب واعتبار الحراثة والحصان الأبيض دليل فارق حضاري وان البطاقة في الأخير لا تعنية أو انها ليست واقعية بل تعود الى (فيلم اجنبي). هذا الأجراء بحد ذاته ومحاولة ازاحة موضوع البطاقة خارج الذات يكشف عن آلية دفاعية أولية (الازاحة) ثم الاسقاط.

بطاقة 4

هذا ممثل وهذه ممثلة.. مبينين (صمت)

الباحث: وانت ماذا ترى؟ ماذا بهما؟ ماذا تعني لك هذه الصورة؟

المفحوص: شوف هي كلها لقطات من افلام، مثل ما قلت لك، بس ما اعرف ما تريد انت مني، وما تريد تستفاد منها؟ بس ليست مشكلة.. شوف هذه الممثلة تحب هذا الممثل وهو ولا معبرها. هذه سوالف مال كفار، عدنا ما يجوز مثل هذه التصرفات. الاسلام تكفل بكل هذه المشاكل وحلها قبل 1400 سنة، وحظرتك جاي الآن تريد تختبرني بيها.

التفسير

رفض في البداية التعليق على هذه البطاقة انطلاقا من خلفيته الدينية المتشددة أو التي تشددت في السجن. ثم التعامل معها كفيلم اجنبي ومحاولة التملص من كشف افكاره ونزواته تحت هذا الغطاء. عدم الانتباه الى الاشخاص في خلفية البطاقة، كل هذه السلوكيات تعكس محاولة انكار لنزواته وصراعاته بسبب خوفه من مخالفتها للدين والشرع (الأنا العليا) وخوفه من انها مشاكل لا تعني مجتمعاتنا المسلمة، وبالتالي سيقع فريسة لقسوة هذه الأنا العليا المتشددة.

الشك والريبة دفعاه الى سؤال الباحث عن حقيقة نواياه، وهو امر طبيعي مع هؤلاء الاشخاص يعيشون وضعا استثنائيا.

اغلب سلوكه يمكن ان يفسر باحتباس اللبيدو الذي لا يجد سبيلا للتفريغ ثم تلقى الطاقة المتراكمة في شكل سلوكيات عدوانية عصابية (افعال القتل العدوانية). قسوة الأنا العليا هي السبب وراء هذا الاحتباس اللبيدي التي لا تمكن الأنا بما لديه من وسائل من مقاومتها من دون اضرار.

بطاقة 6 BM

صورة ثانية مأخوذة من فيلم لرجال وامرأة كأنها امه او خادمة، تعرف انه الاجانب عدمهم خدم يحبون يستعبدون الناس خاصة المسلمين. المهم... يبدو شكلهم عدهم مصيبة... لو وحده تحت في الغرفة تريد تموت .. مرة هذا الرجل.. وهم حائرين.. الظاهر المشكلة كبيرة... لو متورطين همه بشيء...ويفكرون ان المصيبة الكبيرة قادة لهم (صمت).

التفسير

رغم اصراره على ابراز الفارق الحضاري والديني بينه وبين ابطال القصة - بسبب ايديولوجيته وبسبب طبيعته الشكية - إلا ان ذلك لم يمنع ان تفلت منه بعض العبارات التي تكشف عن افكاره ومخاوفه وصراعاته التي تتمثل بمشاعر تدور حول الموت (غريزة الموت والعدوان والتدمير) وفقدان الحب والقدرة على الحب. مشاعر حدية عكسية، ففقدان الحب يؤدي الى مزيد من العدوانية والانغماس في افعال الجماعة التدميرية، والعكس صحيح ايضا، اي زيادة العدوانية تعني تضييق مساحة الحب والأمان في حياته.

تحاول القصة ان تجعل من ابطال البطاقة اشخاص تربط بينهم علاقات عائلية، وهذا يشير الى ان مشكلته في اساسها تعود الى مرحلة من مراحل ماضي حياته داخل اسرته.

بطاقة 7 BM

هذا واحد هو وابوه.. بس هؤلاء جيدين.. ما عندهم مشكلة، واحد هو وأبوه.. أو هو ومديره في العمل لأن واضح أنهم موظفين.. أنظر ملابسهم.. تقدر ان تقول يشتغلون بجامعة أو اطباء (صمت) ما في شيء كل شيء عادي (صمت).

الباحث: هل تريد ان تضيف شيء آخر؟

المفحوص: لا.

التفسير

كف الاستجابة باد جدا على هذه القصة، ورفض التفاعل معها الى حد ما، ومحاولته ان يبدو بمظهر الحياد. ورغم محاولة التهرب بالالتجاء الى العبارات المقتضبة إلا ان مثل هذه العبارات البرقية يمكن ان تكون عبارات مفتاحية إذا ما احسن الباحث التعامل معها وحملها على محمل تكاملي أو كلي من محامل التحليل النفسي. ان تعبيرات المفحوص وفترات الصمت والقلق الذي يبديه ازاء هذه البطاقة مؤشر لاضطراب علاقته بالأب أو بدلائه من ممثلي السلطة، والذين يمكن ان يكونوا بعض اعضاء التنظيم أو رجال الأمن القائمين على السجن. ان هذا الكف في الاستجابة وعدم التفاعل بشكل جيد مع اغلب البطاقات يمكن ان يشير الى اعراض اكتئابيه خارجية المنشأ يعاني منها المفحوص بسبب دخوله السجن ونتيجة لفترة السجن وما يجره عليه من افكار ومخاوف وتهديد بالموت. مزاجه كان مصحوبًا بمشاعر فقدان الأمل وانخفاض تام بالحماس للحياة، كذلك اتهام مستمر للذات واحساس بالذنب واضطرابات في النوم.

بطاقة 13 B

هذا طفل ... اجنبي.. قاعد باب بيتهم.. ينتظر، ضجر هو حيل وحيد لأن ما في معه واحد يلعب في البيت، فهو قاعد هيك يقلك بلكي يمر صبي يلعب معه، أو يجوز عامله مصيبة واهله ضربوه... يجوز...

التفسير

تشرح القصة مشاعر الوحدة وهي مشاعر متأصلة. وتجسد ايضا القاء اللوم على الذات وتشدد الأنا العلى من جهة واستسلامه لهذه القسوة، بحيث يجيز ان يتم معاقبته وضربه (فعل خصاء) لأسباب تعود له، لذاته الضعيفة والدونية التي تشتهي المحرم.

تكرار كلمة (يجوز) يشير الى حالة الحيرة واستمرار الصراع وعدم الاستقرار التي يمر بها، فهو ما زال متردد يخاف ان يعلن خياراته النفسية ويتحرر من نزعاته الطفولية وكونه لا زال طفلا يتعرض للضرب والخصاء داخل البيت، حيث وجد في الخارج ايضا أنا عليا اكثر قسوة – من تلك التي عرفها في طفولته- تنتظره وقد هددته اكثر من مرة مطاردة وتهديد بالقتل والسجن والتعذيب.

بطاقة 16

هذه شو؟ فارغة... يعني كيف احكي عنها إذا هي اصلا فارغة؟

الباحث: تخيل انت صورة واحكي عنها؟ تخيلها ورقة اعطوها لك هكذا فارغة وقالوا لك املئها، بماذا ستملئها؟

المفحوص: بس اخبرتك اني ما اعرف ارسم اصلا؟

الباحث: ما راح ترسم، مجرد تخيل. يعني ماذا ستملئها تخيليا؟

المفحوص: راح اشخبط بيها.

الباحث: وماذا راح تشخبط؟

اشخبط ... شخابيط ما ألها معنى (صمت).

التفسير

رفضه التام لتأليف قصة عن هذه البطاقة لم يمنع الباحث من الابقاء عليها، واعطاء تفسير لهذا الرفض بواسطة المنظور الدينامي الكلي الذي تبناه الباحث كمنهج تحليل الاستجابات. إلحاحه على كلمة (شخبطة وشخابيط) وتكرارها يمكن ان يكون مؤشر على حالته نفسها التي تم تأشيرها في البطاقات الاخرى والمقابلة وهي حالة الصراع القوية - التي تعيشها الحالة- بين مكوناتها البنائية الكبرى: الهو والأنا والأنا العليا.

بطاقة 12 BG

هذه غابة بعيدة... كأنها في بلاد الصليبيين.. وهذا القارب يعود لواحد ربطه هنا ونزل يصيد ويرجع (صمت).

الباحث: وماذا بعد؟

المفحوص: ما في شيء محدد ...الشجرة سوده كأنها محترقة قبل مدة.. ويجوز صاحب القارب هو الي حرق الغابة واحترق أو واحد قتله.. تدري الناس ما يتأمنوا.. يمكن ان يموت الواحد بلحظة.. بس الفرق وين يروح بعد الموت.. هنا السؤال...احنا عدنا الجنة.. انشاء الله.. بس هؤلاء الكفار ماذا لهم؟... تدري مرات اقهر عليهم، خطية راح يرحون لنار جهنم.

التفسير

تهيمن معتقداته الدينية في تصنيف الناس الى مسلمين وصليبيين. يقرر ان المسلمين مصيرهم الجنة و(الصليبيين) مصيرهم جهنم. يبدي تعاطفه الانساني معهم، الأنا الضعيفة، التي تخفي خوفها من التدمير والتفكك بانتمائها لنسق ديني متشدد، لذا هذا لا ينفي ان يقرر تحديد مصيرهم وهو الاحتراق بنار جهنم، وذلك تحت ضغط أناه العليا، معتقداته الدينية الايديولوجية.

دلالة الصيد بما يتضمنه من فعل قتل الحيوانات والتهامها يحمل دلالة جنسية وسادية. اما الاحتراق والقتل فهي مفردات تشير بوضوح لهيمنة فكرة الموت وتسلطها على تفكيره، حتى تصل الى محاولة الانتحار العقائدي (الاستشهاد) حرق الغابة وحرق نفسه، قتل الناس وقتل الذات. ويمكن تفسير عبارة احتراق الشجرة منذ زمن الى تأصل فكرة الموت لديه في مراحل مبكرة من حياته.

بطاقة 9 BM

هذه لقطة من فيلم كابوي.. الله يلعنهم، هم هؤلاء الي دمروا العالم.

الباحث: وانت ماذا تمثل لك شخصيا؟

المفحوص: تمثل لي رجال كانوا بشغل صعب .. حرب عصابات مثل غزوة كانت عدهم خلصوها وتعبوا جدا.. الظاهر انهم ما مهتمين للحرب أو ان الغزوة أتعبتهم وماتوا كم واحد من اقاربهم واصحابهم.. مشكلة.

التفسير

تكاد تكون ردود فعله منمطة مع بعضها، فهي تبدأ بمحاولة تجنب الاستجابة للبطاقة، ثم تناولها بعبارات قليلة. لكنها تكشف افكاره ومشاعره التي تكاد ان تكون متطابقة مع ما اظهره من ردود فعل في البطاقات السابقة، وهي التشديد على الفارق الثقافي والديني بين رؤيته لنفسه كجزء من جماعة مسلمة وبين الآخرين (الغرب) كجماعة معادية تريد تدمير العالم.

حاول تقمص الابطال باعتبارهم يمثلون جماعته بعد شن هجوم على القوات الأمنية (غزوة) مؤكدا على الموت والقتل، في اشارة خاصة لمقتل اقاربه واصحابه.

يكشف حاجته للاهتمام والحب والأمان، وقد اسقط على جماعته انفسهم انهم غير مهتمين لهذه الحرب التي ترعبه هو وحده. يشعر انه وحيد ولا احد يكترث لمصيره الذي سينتهي بالموت مقتولا، كما مات قريبه.

بطاقة 13 MF

أووو... شو هذه... ما عندي اي تعليق على هذه اللوحة.. استغفر الله (صمت).

الباحث: لماذا؟ ما الذي ضايقك فيها؟

المفحوص: هذه الصور حرام.. شوف هذه المرأة النائمة عارية.

الباحث: ماذا تعتقد فيها؟ ما الذي جرى لها؟

المفحوص: اعتقد ميتة، وهذا زوجها يبكي.. مدري فرحان.. كل شيء يصير.. الله اعلم.

التفسير

مارس نفس الآلية وهي محاولة اخفاء غرائزه ودوافعه الفطرية ومشاعره وانفعالاته الانسانية وراء حجج دينية وقسوة الأنا الأعلى لا يسمح له التعبير عما يريد. ولكن اشارته الى المرأة النائمة بانها (نائمة) يشير الى حالة هروبية. اما وصفه لها بأنها (عارية) فيشير الى رغبة جنسية مكبوتة. وهو في النهاية قد توحد مع المرأة ربما لأسباب ثقافية دينية، حيث كانت سبب هجومه الأول فحاول ان يكمل هذا الهجوم. أو ربما وسيلة دفاعية تتمثل بمهاجمة العنصر المشتهى ولكن الممتنع أو الذي لا يمكن الحصول عليه.

بطاقة 17 BM

هذا واحد يشتغل بسيرك، ويتأرجح على الحبل، بس مبين تعبان، وعنده ملل من هذه الشغلة التعبانة. الظاهر شابع سقطات.

التفسير

تعزز هذه القصة اغلب الحالات التي تم تشخيصها حول المفحوص، فحالة التأرجح وعدم الاستقرار تعكس حالته النفسية غير المستقرة المترددة والخائفة. كذلك تأكيده على (تعب) بطل القصة يعكس تعبه شخصيا من صراعاته وهمومه ومشاكله التي بدت له بدون حل بل بالعكس زادها الالتحاق بمثل هذه الجماعات جعلها اكثر تعقيدا، والتي عبر عنها بعبارة (شابع سقطات).

النتائج ومناقشتها:

أولا: المستوى الشكلي

أ: صعوبة التفاعل مع بطاقات الاختبار، ومحاولة جعل مسافة ثقافية بينه وبينها. ويعزي الباحث السبب وراء ذلك الى انتماء المبحوث للجماعات المتطرفة التي تتعامل بريبة وشك مع اي شيء، كذلك فإن تلك الجماعات تقوم على التشدد والانغلاق وعليه فهي تعتبر ان في هذه البطاقات ما يخالف الشريعة. لذا حاول الباحث التدخل قليلا ودفع المبحوث للتعبير عما يراه في تلك البطاقات وتقليل المسافة كون المادة الثقافية لبطاقات التات استقيت من واقع الحياة الغربية. ان الجمود في بعض الاستجابات تم تجاوزه بمقارنتها بالاستجابات الاخرى وجمعها مع بعض ومحاولة تكوين صورة موحدة تعكس - الى حد ما- الوحدة الكلية لاستجابات المبحوث. كذلك جاءت المقابلة لتعزز من التعرف على الحالة سيكولوجيا والإلمام بجوانبها في إطار موحد.

ج: تخلو القصص من شروط السرد المعروفة (بداية ووسط ونهاية). واحيانا خلت بعض القصص من الدقة، فليس هناك ذكر لأسماء الابطال أو الأماكن، وليس هناك اشارة لوقت الأحداث.

ج: يغلب على القصص قصرها النسبي، وتأثرها ببعض المشاهد من افلام قد شاهدها المفحوص في فترات متفاوتة من حياته بحسب ادعائه. يجب الانتباه الى انه قد يكون مثل هذا الادعاء أحيانا محاولة دفاع هروبية لا شعورية أو يتهرب عمدا كيما يكشف نفسه أمام الفاحص. وقد اشار اسحاق رمزي (بلا تاريخ، 466) الى ان قصص المصابين بالقلق والاضطراب تنحى نحو الايجاز والاقتضاب، ويبدو في قصص هؤلاء التردد والإحجام. كما وتتسم استجابة المصابين بالبارانويا بمحاولة الافلات والزوغان والحذر والشك. وقد اظهر عدد من الدراسات ان هناك فروقا احصائية بين الفاظ مرضى الهستيريا والمصابين بالقلق والمصابين بالوسواس القهري.

د: محاولة التمسك بلغة دينية في سرد القصص، ومحاولة اظهار التدين والاعتقاد ببعض الافكار الآخروية المتطرفة.

ثانيا: المحتوى النفسي الكامن

سنشرح نمو الأنا واقترابه من التطرف العنيف والتعصب الشديد ونلاحظ أن هذا التطرف يمكن ان يكون له جوانب عصابية، سواء من ناحية البنية التعصبية أو من ناحية اقتراب المتطرف العنيف من بعض الفئات العصابية، وهذا الاقتراب يأخذ اشكال منها الافراط في الاعتماد على عدد من الوسائل الدفاعية، كالاسقاط والاحلال والتماهي بين نرجسية الأنا ونرجسية الجماعة، وزعيم الجماعة بالأب. ان تضخم دور مثل هذه الآليات يجيء لأن الحالة بالأساس تعاني من نقص في الاشباعات النرجسية. وخلال سعيه الدائم وراء هوية توائم تصوره النرجسي عن ذاته وعن ذات الجماعة التي ينتمي لها ادى الى ان

تطول فترة التردد والحيرة حتى وصل الى الاحساس بالعجز ومن ثم وجد في الانخراط في تلك الجماعة تعويضا مباشرا وسريعا عن مشاعر الخوف والتردد، وبالتالي تؤمن له هوية نرجسية واضحة وقوية ومحاطة بالأخوة وتضخيم الدور وتخيلات العظمة.

ان استجابات الحالة تتسم بسمات سلبية خاصة من ناحية التحريف الذي بلغ درجة كبيرة تكاد تكون شاملة لصورة العالم الخارجي. ان هذه الصورة المحرفة للعالم الخارجي قد تعكس قصورا في الأنا. اما صورة الآخرين فجاءت سلبية ايضا، ربما لما عاناه ويعانيه من معاملة بسبب انخراطه في مثل هذه الجماعات التدميرية.

وجدت الدراسة غلبة العمليات الانفعالية عند الحالة، والتي ربما تكون هي من تسببت بالتمزيق الذي اصاب الأنا وانعكس على رؤيتها العالم مفتتا وخطرا ولا يصلح للعيش. والحالة بقيت اسيرة تفكيرا تدميريا (حروب، اقتتال، انتحاريين...)، وقد كشفت المقابلة والاختبار رغبته الهروب منها أو تدمير نفسه وتدميرها.

لقد كشفت استجابة الحالة - لاختبار تفهم الموضوع ومن ثم المقابلة وملاحظة الحالة- عن غلبة الصفات العصابية لديها كالضيق الشديد في النشاط الفكري الذهني، وكف الاستجابة لبعض لوحات الاختبار في صورة مقاومة ورفض الاستجابة الى بعض اللوحات مما اضطر الى استبدالها مع بقائها ضمن ملاحظات الفاحص للاستفادة منها في دراسة الحالة. كل هذه الصفات برأي الباحث جعلت الحالة اقرب الى المضطربين منها الى الأسوياء. شدة وتواتر الاستجابات الدالة على الاضطراب أو اللاسواء.

ان وظيفة الايديولوجيا هي شد الأنا الجماعية وتقويتها وجعلها اكثر صلابة وتزويد الجسم الاجتماعي بمرآة تحدد له هويته. وهي توجه الوعي والإرادة. والتحليل النفسي اكتشف ان عمل الايديولوجيا شديد الارتباط باللاوعي وما يحتويه من رغبات وتخيلات واستيهامات. وقد ذهب كاييس Kaes ان الوظائف النفسية للايديولوجية تتبدى في تشكيل بنية نفسية للفرد بتقديم رموز وأسماء تحقق لها التماهي والإحساس بالهوية والتعلق بالمثل، وتسهم بدمجها في الجماعة. ان الانخراط في المعتقد الجماعي يقي المرء من السقوط فريسة القلق الفردي(عباس، 2017، 23- 24)

مع دخوله سن المراهقة بدأت المشكلة لديه بالتفاقم وازدادت حيرته وصراعاته وبدا ان لا حل لمشاكله يلوح في الأفق، وفشلت جميع وسائل الدفاع الميكانزمية بايجاد حل لصراع الأنا الأعلى والهو أو الأنا الأعلى والعالم الخارجي، واستسلمت الأنا لمشاعر الاحساس بالذنب والتأنيب، ممزوجة بمشاعر الغضب على الذات والعائلة والمجتمع والعالم. حينها ازداد تفكيره بالموت وبدأت تظهر لديه بعض الاعراض الاكتئابية واعراض البارنويا وبدأ يشك بان من حوله يقفون في طريق تحقيق اهدافه بل ويتأمرون عليه. في هذا الوقت بالذات كان اول تعرف له بالتدين كطريقة لتخفيف آلامه ووسيلة تساعده في حل صراعاته ومصد ضد هجمات القلق والاعراض العصابية الأولية، ولكن حينما فشل في التخلص من ممارسة الاستمناء (اخذ شكلا قهريا) تحول تدينه الى مصدر شديد للإحساس بالذنب والعجز والفشل، وهنا وجد الأنا الأعلى موقع اقوى يمكنه من مهاجمة الذات على المستوى الشعوري واللاشعوري (كان تقديره لذاته منخفض منخفضًا جدا، ففي هذه الفترة احس بالضياع بحسب عبارته في المقابلة). علما انه على طول خط الصراع النفسي هذا والاحباط الصدمي، بقيت الاعراض الانسحابية لديه، وكانت ترتفع وتنخفض وتيرتها بحسب الظروف. وعلى خلفية هذا المشهد جاء خبر مقتل قريبه (من قبل قوة أمنية مشتركة)، وظهر ما يشبه الخوف من الخصاء كمرادف للخوف من الموت. على ضوء هذا الحدث الصدمي (لا ينفي وجود خبرات ذات طبيعة صدمية يمكن ان تكون موجودة لدى الحالة) عاود المشهد السيكولوجي (القديم) التشكل مرة اخرى، ولكن هذه المرة بأدوات اخرى سيأخذ العدوان أو غريزة

العدوان الجزء الأهم فيها. ان قريبه الذي قتل من قبل جماعة اخرى طائفيا سيكون هو صلة الوصل القادمة بينه وبين الجماعة النحن التي احتكرت معادلة غريزة الجنس وغريزة العدوان، فاليها قد آل أمر التصرف بالاحباط لأنها اعلنت عن كونها هي الجهة الوحيدة القادرة على اخذ الثأر (للضحايا) فاليها ستؤول ادارة الاحباط – الغضب، لأنها استطاعت ان تجمع الاحباط والهزيمة وتستثمر فيه وعودا بالتخلص منه. تمتلك الجماعة الدينية ادوات كثيرة تعد الافراد المحبطين والغاضبين فيها بالتخلص من آلامهم ومن هذه الأدوات: الوعد باخذ الثأر، الوعد بالجنة، الوعد بالسلطة،...الخ.

مع ازدياد خوفه ازداد تدينه، وهنا التقى الأنا الفردي السيكولوجي المحبط بالجماعة (الجماعة المرجعية) حاملة الأوامر والنواهي (الجديدة)، والتي ستستثمر في كلا طرفي المعادلة: الرضا والقبول مقابل الولاء والطاعة. هكذا هي الأنا الأعلى الذي تتوحد معه الأنا بسبب فشلها في حل الصراع أو التغلب عليه، (يصف صفوت فرج هذه المرحلة من مراحل الاحباط الجماعي بأنها مرحلة ينشط فيها الأنا الأعلى وقد عشعش فيه فيروس الهو البدائي والعدواني. انظر مقاله نفسه: ص424). ان حالة الاحباط واثناء دفعها الأنا الى العدوان تيسر التوحد بالجماعة وتشكيل "نحن" يتعامل مع كل ما عداه بوصفه آخر ضد. الاحباط المتكرر على مستوى الجماعة والذي اصبح جزء من التنشئة الاجتماعية غير كافية لجعل العدوان هو الاستجابة الاقرب للحالة بقدر ما عززت فرضية الاحباط- العدوان عند الحالة، وحتى هذه الحدود التي وصلت اليها ليست بالخطيرة التي يمكن ان تبلغ به الى مستوى ممارسة الفعل الارهابي بل وجود الجماعة التي نظمت تطرفها ايديولوجيا وحركيا وامنيا، وعلى المستوى النفسي ضمنت الحالة طريقا لخروج مشاعر الغضب والعدوان والاحباط بعيدا عن الذات، الى الآخر العقائدي أو الطائفي.

الاستنتاجات

اسفرت دراسة الحالة بأدواتها (المقابلة- الملاحظة- اختبار التات) عن نتائج يمكن عدها سببا في انجراف الحالة نحو التطرف العنيف، ويمكن تلخيصها بالتالي:

لقد جعل من الانتماء ملجأ للتخلص مما مر به من مشاعر الخوف والقلق (وقد تبين انه شخص عانى من الخوف وفقدان الاحساس بالأمان، ويعاني من اضطراب القلق) وهنا لعبت آليات الدفاع دورها في هذه العملية. ان نمو الأنا واقترابه من التطرف العنيف والتعصب الشديد يمكن ان يكون له جوانب عصابية، اقتراب المتطرف العنيف من بعض الفئات العصابية، وهذا الاقتراب يأخذ أشكالا منها الافراط في الاعتماد على عدد من الوسائل الدفاعية، كالاسقاط والاحلال والتماهي بين نرجسية الأنا ونرجسية الجماعة، وزعيم الجماعة بالأب.

لقد كان حادث مقتل قريبه هو الحدث الصدمي الذي زاد من خوف وقلق الحالة واعطاه دفعة للانتماء الى المجاميع المتطرفة التي تمارس العنف. ان انتماء الشباب الى الجماعات المتطرفة هو بديل لما يعانيه هؤلاء الشباب من حرمان نفسي، فتصبح علاقة العضو بأمير الجماعة ليس فقط علاقة قيادة، بل بديلا عن علاقة الأب بالأبن. وتبعا لنظرية التحليل النفسي يمكن عد التطرف عصاب جمعي حيث ينتسب الى جماعة تعتقد بأوهام "العظمة"، فتتنامى لدى افرادها مشاعر تبعية مفرطة وذوبان في نرجسية جماعية، ويخيل اليه ان عقيدته هي العقيدة الوحيدة الصحيحة، وأنه مفضل أو متميز لأنه يعتنقها. ويبرز فرويد أهمية اللاشعور في فهم مختلف جوانب الشخصية بما فيها التطرف الذي يعكس تفسير نموه وارتقاءه في ضوء بعض الميكانزمات مثل الاسقاط Projection, والتبرير Justification , والتماهي Identification، ويعتقد فرويد ان التطرف دال على الميول البشرية للأسقاط، واسقاط التشابه على وجه التحديد, ويقصد به الميل الموجود لدينا جميعاً الى ان نسقط الدفعات غير المرغوب فيها على الآخرين,

ونجعل منهم كبش الفداء الذي يحمل شرورنا. ويمكن القول هنا ان التطرف والعنف المصاحب له يمثل وظيفة نفسية لأفراد الجماعة التي تعرضت للإحباط، فيساعدهم هذا العنف بالعثور على اهداف بديلة مناسبة ويفتح الباب امام هوامات الفقد والاضطهاد. يشير فرويد الى ان الخوف هو مركز من مراكز الاعصبة التي تصيب الانسان، خاصة إذا ما تعرض الى غريزة حفظ الذات للخطر حينها سيكون عصابا صدميا، وهو ما تعاني منه الحالة، بحسب ما أظهرت نتائجها في هذه الدراسة.

لقد كشفت دراسة الحالة انها ذات تكوين عصابي، يعزي الباحث جذوره الى مرحلة الطفولة حيث نشأت الحالة في جو اسري غير متوازن من الاهتمام والاهمال (سبعة اخوة، تسلسله الرابع بينهم)، حيث كان الأب جاف الطباع وقاس احينا، لم يمنح ابنائه يوما اهتمامه أو عطفه. اما الأم فكانت توزع اهتمامها بين سبعة اخوة مما جعل حصة الحالة من الرعاية والعطف الأمومي في البداية فقط مع سنوات ولادته ثم تنتقل الحب والاهتمام بعدها الى الذي يأتي بعده، وتعتبر هذه الطريقة من العادات التربوية المنتشرة في الأسر العراقية. لهذا راح يبحث عن اي صدر حنون يعوضه نقص المشاعر، وعن اي مصدر يشبع له الحاجة للثقة بالنفس وتقديره لذاته. هذه المشاعر السيئة والقلق دفعه - في الكثير من الاحيان - الى تخيل ان عدد من بنات جيرانه واقاربه يتمنين ان يحبهن، وانهن واقعات في غرامه ودليله بعض الاشارات التي كانت تفلت منهن. ولكن بسبب خوفه من الأب (عقدة خصاء ظهرت في حديثه على لسان أخيه ان السجن يعني اغتصاب) جعله يخاف مفاتحة واحدة منهن، وكان اقرب حل بالنسبة له هو ممارسة العادة السرية، وكان كلما فشل في اقامة علاقة طبيعية مع الجنس الآخر نزداد ممارسته للعادة السرية. كشف الحالة ان احساسا كبيرا بالذنب رافق هذه الممارسة (المحرمة دينيا)، وولد صراعا بين الهو والأنا الأعلى، علما ان صورة الأب لديه تمثل جزء مهم من بناء الأنا الأعلى، حيث تم استدخالها عبر الكثير من العمليات النفسية. كل هذه الصراعات ضمن اطار من النرجسية لف الشخصية بغطاء سميك. ان التطرف هنا يمكن عده - من خلال الجهاز المفاهيمي لكارين هورني- ناتج من صراعات وتصورات الفرد المثالية، أو التناقضات بين الفرد وتصوراته، أي في الهوة الشاسعة بين الذات والأنا العليا التي تتشكل في مسار تطور الشخصية العصابي، مما يفقده الثقة بنفسه وبقواه البناءة.

ولقد اشار فرويد الى ان القلق العصابي العادي إنما يتدعم في الحالات الشديدة بنشوء القلق بين الأنا والأنا الأعلى وتتدرج ثلاثة انواع من هذا الخوف ممتزجة: الخوف من الخصاء، والخوف من تأنيب الضمير، والخوف من الموت (ليبين،1981، 49).

جدل العلاقة هذا بين الأنا والأنا الأعلى المتسلح بالرؤى والمشاعر والافكار الدينية تطور مع تقدم الحالة بالسن وتعلقه النفسي بالجماعة لتصبح ممارسة العنف والقتل حلا للصراع وارضاء للأنا الأعلى/ النحن الفرعي بمكوناته العدوانية والبدائية. عقيدة أو ايديولوجية قائمة على تمثيل الله في الأرض والأنا الأعلى في ضمير ووجدان الحالة. تجد الحالة نفسها منجذبة الى الصوت الذي يدعوها لأن تلتحق بالجماعة المؤمنة (الجهاد) لتحل صراعها القديم مع الأنا الأعلى القاسي حلا نهائيا، فيكون الموت (الاستشهاد) حلا لمرة واحدة والى الأبد (اصبح التخلص من القلق مهمة يمكن ان يضطلع بها الوعي، ولم تعد فقد بحدود تفادي القلق والأم بل مهمة انقاذ للذات، اضفاء الطابع الانقاذي على الصراع السيكولوجي سيتطور ليصبح - عن طريق الايديولوجية الدينية- انقاذ الجماعة أو الأمة، والذي ستصبح وسيلة قياسه هي مدى المطابقة مع الأصل المتخيل، فكلما كان اقرب لهذا الأصل كان اكثر نقاء وتقديسا. هذا التعلق العصابي بالجماعة ولد رغبة لدى الحالة في البحث عن الأب، ومن غير الزعيم (أو بعض زعماء) الجماعة سيشغلون هذا الموقع، موقع الأب (وحده الأب من يمتلك حق ان يعاقب ابنائه، دون ان يحاسب)، ومن غير الاتباع يرتضي ان يكونوا ابنائه المطيعين والمتكاتفين؟ هنا نكتشف ان الحالة لم تغادر الطفولة،

بل استبدلتها بطفولة من نوع آخر. يتحدث فرويد عن تطور دافع الموت في عودة الذات الى الأصول الأولية الى الصدمة الأولى، صدمة فقدان الموضوع الذي هو ثدي الأم، ثم يتطور الحدث الصدمي ليشمل اجزاء اخرى من العلاقة بالأم، فالعودة الى الموت كأمان في مواجهة سلسلة الفقدانات.

المراجع:

أولا:المراجع العربية:

- ابو دوابة، محمد محمود (2012)، *الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية*، جامعة الأزهر كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان، الأردن.
- البنا، عبد الإله (2014)، *التطرف الديني والسياسي وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية لدى طلبة الجامعة اليمنيين*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- بيومي، محمد احمد (1992)، *ظاهرة التطرف السباب والعلاج*، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- الحديدي، أحمد خالد محمد (2015)، *النسق القيمي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية الأخرى لدى عينة من المتطرفين*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر.
- حرب، علي (2002)، *العالم ومأزقه*، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- داكت، جون (2000)، *علم النفس الاجتماعي والتعصب*، ترجمة عبد الحميد صفوت، سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس، الكتاب 12، القاهرة، دار الفكر العربي.
- الدسوقي، محمد إبراهيم (1992)، *سيكولوجية التطرف*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، عين شمس، مصر.
- سند، رزق (1983)، *ديناميات التطرف في المحافظة والتحرر لدى الشباب*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
- سويف، مصطفى (1968)، *التطرف كأسلوب للاستجابة*، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- السيد، فاطمة خليفة، وعبير حسين محمد خياط (2018)، *التطرف الفكري وعلاقته بأحادية الرؤية والأفكار الآلية السلبية لدى عينة من طلاب الجامعة في ضوء الفروق بين الجنسين والتخصص العلمي*، مجلة العلوم التربوية، مج26، ع1، جامعة القاهرة- كلية الدراسات التربوية.
- الشرتوني، انطوان (2018) *اختبار تفهم الموضوع طريقة بيلاك: دراسة وبحث*، بيروت، دار النهضة العربية.
- صفوت فرج (1993)، *قضية الارهاب: محاولة للفهم السيكولوجي*، بحث منشور في مجلة دراسات نفسية مج3، ع4، القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم).
- الطيب، محمد عبد الظاهر (1994)، *مبادئ الصحة النفسية*، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- عباس، فيصل (2005)، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية، بيروت، لبنان.
- غزال، عبد الفتاح علي (2019)، *سيكولوجية الملاحظة ودراسة الحالة*، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.
- غنيم، سيد محمد، وهدى عبد الحميد برادة (1964)، الاختبارات الاسقاطية، القاهرة، دار النهضة العربية.
- فروم، إريك (1972)، *الخوف من الحرية*، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- فرويد، سجموند (2006)، *علم نفس الجماهير*، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة.

- القطان، سامية (2013)، *كيف تقوم بالدراسة الكلينيكية*، مكتبة الأنجلو المصرية.
- لابلانش، جان، وجان برتراند بونتاليس (2011)، *معجم مصطلحات التحليل النفسي*، ترجمة (مصطفى حجازي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- ليبولد، بيللاك (2017)، *اختبار تفهم الموضوع للراشدين*، ترجمة (محمد احمد محمود خطاب)، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ليبين،فاليري (1981)، *مذهب التحليل النفسي والفلسفة الفرويدية الجديدة*، دار الفارابي، بيروت، لبنان.
- ليبيين، فاليري، (1997)، *التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة*، ترجمة (زياد الملا)، دمشق، دار الطليعة الجديدة.
- مخيمر، صلاح (1977)، *تناول جديد في تصنيف الأعصبة والعلاجات النفسية*، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- مليكة، لويس كامل (1997)، *علم النفس الاكلينيكي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- منصور، رشدي فام، وفرج احمد فرج، (1974)، *الاستجابات الشائعة لاختبار تفهم الموضوع*، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
- هوتون، ديفيد باتريك (2015)، *علم النفس السياسي*، ترجمة (ياسمين حداد)، الدوحة، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ثانيا:المراجع الأجنبية:

- Gallant, M. Christina (2001) "*Existential Expeditions: Religious Orientations and Personal Meaning*", Graduate Counseling Psychology Program. Published Master Thesis.
- Dittes, J.E. (1971) "*Psychology of Religion*", G. Lindsey & Aronson (eds.) Handbook of Social Psychology, 2nd, ed. Reading, Mass: Addison-Wesley.

Psychology Of Violent Religious Extremism

AKeel Hebeb obaid
PhD student- Department of psychology
College of girls- University Ain shams - Egypt
Akeelhebeb1975@gmail.com

Prof.Dr.Shadia Ahmed
Department of psychology-Faculty of Women for Arts, Science & Education- Ain Shams University - Egypt

Abstract

The study aimed to identify the psychology of religious extremism of a young man who is imprisoned in accordance with Article 4 of the Anti-Terrorism Law, with the aim of determining the psychological characteristics of religious extremists . the study also aimed to know the psychological environment for religious extremists. The researcher used the case study , interview , case history, and subject Understanding Test Thematic apperception Test (TAT). The study found that among the causes of religious extremism in the case : personal, family and ideological reasons. The study also found the condition suffers form a decrease in the level of feeling of safety, corresponding to an increase in the feeling of fear and anxiety. Understanding the subject's test cards also revealed the personality dynamics of the case and its dependence on a number of defense means, and the egos weakness in front of the superego's strength, which prompted it to belong to extremist groups.

Keywords: religious extremists , Thematic apperception Test.

2 **Received on: 22/3/2021** **Accepted for publication on: 13/7/2021**